دانه ياهف

.....ما أروع هذه الحرب.....

نصوص ورموز عسكرية
ظاهرة ومبطنة في الأدب الاسرائيلي

ترجمة وتقديم: سمدار داغور

دان ياهف

ما أروع هذه الحرب

نصوص ورموز عسكرية ظاهرة ومبطنة في الأدب الاسرائيلي

ترجمة وتقديم: سلمان ناطور

جميع الحقوق محفوظة

كانون الأول ٢٠٠٤

صدر عن :

مدار

المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية

The Palestinian Forum for Israeli Studies (MADAR)

رام الله – شارع يافا – تلفون : ٢٩٦٦٢٠١

فاكس : ٢٩٦٦٢٠٥ – ص . ب ١٩٥٩

e-mail: madar@madarcenter.org

الإخراج والطباعة:

مؤسسة الأيام

رام الله - فلسطين

ص . ب : ١٩٨٧

هاتف : ٤/ ٢٩٨٧٣٤١ ٢ (٩٧٢) – فاكس : ٦/ ٢٩٨٧٣٤٢ ٢ (٩٧٢)

www.al-ayyam.com

E-mail:info@al-ayyam.com

صدر باللغة العبرية عن دار «تموز» للنشر ، تل أبيب ٢٠٠٢

الفهرس

مقدمة ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ ٥

مقدمة المؤلف ـــــــــــــــــــــــــــــــ ٩

مدخل: العسكرة: تعريفات، نماذج وتفسيرات ـــــــــــــ ١٣

الآداب والتربية بناء على أساطير عسكرية ـــــــــــــ ٢١

أدب الأطفال والفتيان ـــــــــــــــــــــــــ ٢٧

العهد القديم ـــــــــــــــــــــــــــــــ ٣٩

العهد الحديث ـــــــــــــــــــــــــــــــ ٤٥

أدب الكبار ـــــــــــــــــــــــــــــــــ ٦١

كتب وكتّاب ـــــــــــــــــــــــــــــــــ ٦٥

خاتمة ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ ١٢٢

ملاحظات ومراجع ـــــــــــــــــــــــــــــ ١٢٤

الى حفيدي، عيناب وعيدو
أتمنى ألا تعرفا الحرب بعد
دان

مقدمة

ثقافة، منطق البقاء للأقوى...

لا يستطيع أحد أن ينكر بأن اسرائيل هي الدولة الأقوى عسكريا في الشرق الأوسط، رغم أن عدد سكانها لا يتجاوز ربع مدينة القاهرة في النهار ومساحتها ليست أكبر من واحة من واحات الجزيرة العربية، فهل هي قوة السلاح العسكري فقط أم قوة الروح العسكرية أيضا؟

بلورة هذه الروح العسكرية هي موضوع كتاب د. دان ياهف، «ما أروع هذه الحرب»، الذي يصدر معربا عن المركز الفلسطيني للدراسات الاسرائيلية في رام الله (مدار) بعد أن أصدر المركز الترجمة العربية لكتابه «طهارة السلاح».

دان ياهف باحث في التاريخ والجغرافيا ومع أنه يحاول أن يكتب بموضوعية دقيقة وعلمية الا أنه لا يخفي بين السطور نقمة على المؤسسة الاسرائيلية، كباحث ومؤرخ نسف احدى أهم الفريات الاسرائيلية وهي ما يسمى «طهارة السلاح»، أي أن القوات الاسرائيلية منذ العام ١٩٤٨ كانت قوات «دفاع» (من هنا جاءت تسمية الجيش الاسرائيلي بجيش الدفاع الاسرائيلي) وأن هذه القوات لم ترتكب الجرائم، أي لم «تلطخ سلاحها» بدم العرب، ويكتب ايضا كمرب واسرائيلي عن التنشئة العسكرية للأجيال اليهودية الاسرائيلية والسياسة المنهجية لنزع أية صفة انسانية عن العربي المحيط باسرائيل أو العائش بين ظهرانيها، وما

كتابه «ما أروع هذه الحرب» سوى تتبع لهذه المنهجية وبحث في جذورها ونصوصها.

ان قراءة هذا الكتاب تجيب على العديد من الأسئلة التي طرحت وما زالت تطرح حول ممارسات قوات الأمن الاسرائيلية ضد أبناء الشعب الفلسطيني والعرب بشكل عام، فكثيرا ما يطرح سؤال ساذج وهو: كيف يمكن لشعب عانى من جرائم النازية واضطهد خلال مئات السنين أن يقوم بأعمال اجرامية كالتي قام بها الجيش الاسرائيلي في النكبة أو بعدها في غزة وقبية والسموع وبعدها في الجولان والضفة الغربية وقطاع غزة وبعدها في لبنان وما زال حتى اليوم يرتكب الجرائم التي تصل الى حد الوصف القضائي: جرائم بحق الانسانية؟ ويجيب الكتاب أيضا على سؤال آخر: ما هي الآلة التربوية التي استعملتها المؤسسة الاسرائيلية لتنشئة أجيال من الاسرائيليين العنيفين الى درجة السادية، يعتدون ويضربون ويقتلون ويهينون ويجوعون ويحاصرون مواطنين عزلاً بينهم أطفال ونساء وعجزه.

لقد عملت آلة محكمة ومتطورة على صياغة وعي هذه الأجيال، في المدارس والمؤسسات التربوية ووسائل الاعلام وفي الأدب والفن، انها آلة التربية على العسكرة، وهي آلة ترويج النصوص التي تلهب المشاعر القومية الشوفينية من جهة، ومن جهة أخرى تنزع كل صفة عن «العدو» أي عن العربي، فالعربي في هذه النصوص هو «مخلوق حقير ولا يستحق الحياة» واليهودي الاسرائيلي في القرن العشرين «يقوم بمهمة تاريخية، انه يعيد كيان الدولة اليهودية القوية بعد ألفي عام، اليهودي الاسرائيلي يسجل صفحات بطولية في هذه الحقبة من التاريخ وعمله البطولي هو أقرب الى المعجزة»، على هذه العقلية ينشأ الاسرائيليون، ولهذا السبب فان تشريد شعب بأسره من وطنه وتحويله الى لاجئين والسيطرة التامة على وطنه وبيته وأرضه، كل هذا يصبح مقبولا وعاديا وفقا لهذا الوعي ويستطيع معظم الاسرائيليين التعايش معه، لأنه في نظرهم مبرر: دينيا، بوعد الهي وسياسيا بدعم عالمي وأخلاقيا بمنطق البقاء للأقوى ولا أحقية للعربي على هذا المكان أو في هذه الحياة.

ان من يعود الى أدبيات الحركة الصهيونية منذ بدايات القرن العشرين سيقرأ النصوص الأدبية التي وصفت هذه البلاد، ففي مطلع القرن وبداية الهجرة اليهودية الى فلسطين بدأت

عملية نشر نصوص تصور فلسطين، بلغات هؤلاء المهاجرين وباللغة العبرية عند من تعلمها، وتصفها بأنها صحراء قاحلة في الجنوب وفي الشمال تكثر فيها المستنقعات وأن سكانها من البدو الرحل البدائيين والقذرين والذين يكرهون اليهود، ونشرت القصص والقصائد التي تمجد الاسرائيلي الذي جاء الى فلسطين ليحيي القفار وأحضر معه الحضارة الغربية المتطورة والثقافة العصرية، وبدأت هذه الأدبيات تصنع الأساطير الثقافية مثل شخصية أهرون ديفيد غوردون، الفلاح اليهودي العصري والمثقف والذي يعرف كيف يعطي الأرض، خلافا للبدوي الذي يهملها ولا يحترمها كمصدر للعيش، وفي العام ١٩٢٥ كتب المندوب السامي هربرت صموئيل تقريرا الى حكومته يصف هذه العملية التي كانت تجري على أرض فلسطين بقوله: «ان المستوطنين (اليهود) في كل أنحاء البلاد يعملون في الأرض بتلهف وايمان، ويحولون المستنقعات والقفار الى حدائق غنّاء. بلاد متخلفة تتحول الى دولة متطورة».

مع اشتداد الصراع على الأرض ووقوع المواجهات الدموية بين العرب واليهود تمحورت الكتابة حول شخصية العربي الذي وصف بأنه: متخلف وخائن ومجرم يطعن من الخلف ومنافق وحرامي. هذه الصفات وغيرها كثير من قاموس التجريد من انسانية العربي ما زالت حتى اليوم تذكر في الأدبيات الاسرائيلية ويقتبسها السياسيون والعسكريون ويضيفون عليها اوصافا لمخلوقات حيوانية حية: صراصير في قنينة (الجنرال رفائيل ايتان) سرطان في قلب الدولة (الجنرال يانوش بن غال) حيوانات تسير على قدمين (اسحق شمير) أفاعٍ رقطاء (الحاخام عوفاديا يوسف) وغيرهم كثيرون.

على هذه الأوصاف ينشأ الاسرائيليون، والكاتب دان ياهف يتناول مئات النصوص الأدبية للتأكيد عل أن الأدب العبري المعاصر متخم بالمفردات والجمل التي تنمي روح العسكرة العنيفة في وعي الاسرائيليين.

يتناول الكاتب فقط مجالين أدبيين هما أدب الأطفال وأدب الكبار، لا يتناول الثقافة الاسرائيلية بشكل عام، لا المسرح ولا السينما ولا الاعلام ولا التلفزيون ولا الفنون التشكيلية التي لا تقصر هي أيضا في مجال العسكرة واللاأنسنة، وهو يربطها بالحروب،

وبينما يتوقف في دراسة أدب الأطفال عند حرب تشرين ١٩٧٣ فانه في دراسة أدب الكبار يواصل البحث الى ما بعد حرب لبنان، وقد عاد في بحثه الى ٢٣٠ كتابا نشرت بين ١٩٥٠ و ٢٠٠١ ويعود أيضا الى ٦٠ دراسة حول هذا الموضوع، ويشير الى أنه عاد فقط الى الكتب الأدبية ولم يعد الى كتب صدرت عن الجيش أو مذكرات جنود قد تجد فيها نصوصا أكثر عداء وأعنف.

هذا الكتاب مصدر مهم لفهم العقل الاسرائيلي والتربية وبلورة الوعي اليهودي ورؤيته لذاته وللآخر، العربي.

سلمان ناطور

مقدمة المؤلف

بين ٢٩/ ٠٥/ ٢٠٠١ و ٣١/ ٥/ ٢٠٠١ عقد في إسرائيل المؤتمر الدولي الأول حول موضوع

«العسكرة والتربية - نظرة نقدية»[١]، وقد عرضت خلال المؤتمر عدة أبحاث ودراسات تتناول مسألة الأدب والحرب:

* تمار هاغر «تجليات الحرب في الأدب الإسرائيلي والأميركي».

* أرئيل هيرشفيلد «القصيدة، الحرب والذاكرة في الثقافة الإسرائيلية».

* أشارت حغيت غور زيف في محاضرتها عن «التربية والعسكرة في سن الطفولة» إلى أنه يجري منذ سن الطفولة المبكرة تربية الأطفال على التضامن والتعاطف مع الجنود والجيش، والشعور بهذا التماثل كجزء أساسي من الانتماء الاجتماعي.

من بين الطرق والأساليب المتبعة من جانب الآباء والمربيات، والتي ترتبط بشكل واع وغير واع بالتربية المبكرة التي تهيئ الأطفال للحياة العسكرية والخدمة في الجيش:

قراءة القصص، تعلم وحفظ الأناشيد، وأحياء المناسبات العسكرية (يوم الذكرى - تخليد قتلى الجيش الإسرائيلي - ويوم الاستقلال الخ...)

نوهت تمار هاغر إلى أن «الكتب تمثل إحدى الوسائل التعليمية المهمة. فكتب الأطفال كتبت في الماضي ولا تزال تكتب في الحاضر على يد الكبار، حيث توجه الكاتب دوماً فكرة معينة حول ماهية الطفولة وحول طبيعة الدور الاجتماعي للأطفال. هذه المفاهيم مرتبطة بطبيعة الحال بفترة زمنية وباحتياجات وأغراض اجتماعية وقومية خاصة. لذلك

نلاحظ أن أدب الأطفال (تأدب الكبار) يميل إلى إشراك قرائه في الخطاب العام حول الحرب» .

لاحظت الباحثة أن «هذه الكتب والقصص، وعوضاً عن النضال ضد الوضع السياسي السائد، تؤيد وتساند الموقف السياسي الرسمي للنظام – السلطة – وأذرعته ومؤسساته التي هي في الغالب ذات نزعة عسكرية»[٢] .

وكما كتب ديفيد أبيدان في قصيدته «ثانوية – إلزامي ١٩٧٣ : فوج التخريج»[٣]، فإن الجيش وحروبه ملتصقون بنا، يسكنون كل كياننا وعالمنا :

«. . . الشاب الذي ينهي البغروت (التوجيهي) يذهب ولا يعود
يتلقى الرسائل كل يومين وله شعر أسود طويل
له صديقة من غبعتايم
وصديقة من بلماحيم
إنه ينتمي لشعب المتتمين .
الشاب الذي ينهي البغروت يعاد في صندوق
له رجلان ويدان وليس سميناً وليس نحيلاً
يغسلونه بالماء ويكوون بدلته ويقبرونه سالماً بين اليهود» .

كذلك أيضاً فإن الأدب، كوسيلة إتصال، يقدم الجيش والحرب بإعتبارهما أدوات تأثير واسعة النطاق . فالجيش يقف في طليعة هذه الأدوات، جنباً إلى جنب مع تعليم اللغه والأدب العبريين [٤] .

ومن المفروض أن يعكس نمط الحياة العسكرية منظومة القيم الصهيونية في أوضح وأجلى صورها . ويعتبر الجيش في شكل أساسي أداة تتمتع بشرعية أخلاقية كاملة، نظراً لأن غايته الأولى هي الذود والدفاع عن حياة اليهود .

وعلى الرغم من أن الجيش وصف أو سمي رسمياً بـ«جيش الدفاع الأسرائيلي»، إلاّ أن النظرية العسكرية التي تأسس عليها تستند بالذات إلى المبادرة العسكرية الفعالة القائمة على الهجوم وليس الدفاع .

فالجيش هو تعبير يعكس منظومة القيم الصهيونية. والقائد والجندي المثاليان، في الأدب والواقع، من المفروض أن يجسدا على الدوام شخصيات تقسم بروح الإقدام والديناميكية، وكذلك الحال بالنسبة للفهم الأساسي بشأن مركزية الجندي في الأدب وأهمية استيعاب مثل ومبادئ بطولية مختلفة من قبيل: لا يجوز التخلي عن جندي جريح، لا يجوز الانسحاب أو النكوص وإنما «التراجع من أجل تحسين مواقع فقط»!، والجندي الفرد هو العامل الحاسم في المعركة وغيرها.

تدعي الباحثة إستر ميلو، في دراسة لها، بأنه لا توجد «نزعة عسكرة» في كتب التعليم. مع ذلك فإن الباحثة تشير أيضاً إلى التمييز القائم - في هذه الكتب - بين «عربي جيد» و «عربي سيئ»، إضافة إلى التجاهل التام للعربي كجزء من جمهور واسع، وتجاهل مجتمع هذا العربي ومجموعته العرقية والشعب الذي ينتمي إليه، أي أن «العربي» لا يُقدم بتاتاً كمجموعة قومية لها احتياجات ومطالب وتطلعات خاصة [٥].

وتشير بحوث أخرى إلى نزع الصفة الإنسانية عن «الآخر»(وهو العربي غالباً) وهذا التوجه هو جزء من النزعة العسكرية الإسرائيلية [٦].

إن الفجوة بين عشرات السنوات في البحوث المختلفة، تتطلب عمليات تفحص ومراجعة إضافية، واسعة ومفصلة أكثر.

في نطاق البحث الحالي لم يجر تفحص كتب خاصة عن الحرب، مثل كتب ألوية الجيش الإسرائيلي، ونشرات تخليد لذكرى قتلى الجيش و«يوميات المعارك»، والتي تحتوي على مضامين وكليشهات ذات طابع عسكري في الغالب. كذلك لم يجر تحليل كتب نظرية بحتة، وإنما فقط عدة دراسات وأبحاث ومقالات تعالج مسائل قريبة من موضوع هذا الكتاب.

يعاين البحث أنماطاً مختلفة من أدب الأطفال والشبيبة والكبار مثل الأدب المعياري والقصصي وقصص المغامرات والأدب التاريخي وغير ذلك. وقد جرى تفحص العديد من الكتب التي تتناول فترات تاريخية مختلفة، من العهود القديمة وحتى الوقت الحالي، وسط استحضار ومعاينة جميع الحروب التي خاضتها إسرائيل:

حرب الاستقلال (١٩٤٨)، حرب سيناء (١٩٥٦)، حرب الأيام الستة (١٩٦٧)، حرب يوم الغفران (١٩٧٣)، وحرب لبنان (١٩٨٢). في بعض الحالات تم تقسيم الكتب وفق التسلسل الزمني و«الفئات العمرية» و«الفئات المناوبة» و«الفئات التاريخية» وأحياناً حسب كتب المؤلفين دون تقسيم تاريخي، وخاصة عند عرض عدة كتب لنفس المؤلف. ولم يجرِ في هذا السياق التطرق للنوعية أو الجودة الأدبية للكتاب، وبطبيعة الحال فقد عرضتَ، ضمن كتب الأطفال والكبار، كتب ذات مستويات مختلفة.

في نطاق هذا البحث (الكتاب) تمت معاينة اكثر من ٢٣٠ كتاباً، نصفها كتب تعنى بالأطفال والشبيبة، إضافة إلى ٦٠ بحثاً ومقالا. غالبية الكتب التي جرت معاينتها صدرت خلال الفترة الواقعة بين العام ١٩٥٠ والعام ٢٠٠١.

أحيي المبادرين لعقد المؤتمر حول «العسكرة والتربية، نظرة نقدية» وأخص، تمار إليئور، لورن اردريك، دوبي بيرنباوم، حغيت غور زيف، عيدنا لومسكي- فيدر، ريلي مزالي، تمار رففورت، وفيرد شومرون، اللواتي استطعت بفضلهن وضع هذا الكتاب، كما وأشكر المحاضرين والمحاضرات الذين أثروا أفكاري، وقيمات المكتبات الكثيرات اللواتي قمن مشكورات بتلبية طلباتي في البحث عن الكتب اللازمة.

دان ياهف

مدخل

العسكرة : تعريفات، نماذج وتفسيرات.

«مع أنك أبليت في قتلنا سأتوجه إليك بصلاة :
بارك سلاحنا في المعركة يا ربنا
تعرف إننا لم ننو القتل
أبناؤنا تدربوا على العمل
مشطوا الأرض وحرثوا وزرعوا الحقل»
(يهودا كارتي، صلاة للسلاح)

نزعة العسكرة، كالكثير من المصطلحات الأخرى، لها تعريفات عديدة متنوعة. بعض هذه التعريفات محدودة أو ضيقة، وتتناول في شكل أساسي النزعة العسكريتارية، وبعضها الآخر اكثر توسعاً وشمولية، وتعالج مواضيع شتى، كالروح العسكرية، ونزعة التعصب القومي، الغطرسة، الهمجية، «طهارة السلاح»، تسييس الجيش، الثقافة العسكرية البدائية، والأدب والشعر ذو الطابع العسكري، الأعياد، أعياد ومناسبات الجيش، ورموز عسكرية أُخرى.

ومن التعريفات الضيقة للاصطلاح : تقديس الروح العسكرية، سياسة تستند إلى القوة العسكرية، فرضية تقول إن أمن الدولة منوط بقدرتها العسكرية [١] .

تعريف آخر :

– النزعة العسكرية، طريقة حكم تسعى إلى تعزيز وتعظيم قوة الدولة عن طريق الاحتفاظ بقوات عسكرية ضخمة تكون على أهبة الاستعداد في أية لحظة للحرب، تقديس مفرط وتنمية مبالغ فيها للروح العسكرية [٢]

وثمة تعريف معجمي آخر :

عسكرتاري : يؤيد النزعة العسكرية، يقدس الجيش والعسكرية، يؤمن بالطرق والأساليب العسكرية، ويؤيد تدخل الجيش في حياة الدولة .

النزعة العسكرية :

– تطلع نحو تنمية وتعزيز الروح العسكرية – الحربية (القتالية) لدى الدولة والجمهور . تقديس مفرط لتنمية المثل العسكرية بشكل مبالغ فيه .

– طريقة حكم تسعى إلى تعظيم قوة الدولة عن طريق الاحتفاظ بقوات عسكرية قوية تكون على اهبة الاستعداد لشن حرب احتلال وتوسع .

– تفضيل خاص للجيش في حياة الدولة .

– في السياسة الخارجية : التأكيد على أن حل المشاكل والنزاعات الدولية يتم عن طريق الحرب [٣] .

هناك تعريفات اكثر توسعاً وشمولية تتناول الجوانب العسكرية والتاريخية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية والفلسفية والسياسية للنزعة العسكرية [٤] .

ووفقاً لهذه التعريفات فإن النزعة العسكرية هي اصطلاح أو مفهوم يشير إلى توجه يُقدس المثل العسكرية و «المؤسسة» العسكرية على اختلاف رموزها وتقاليدها . وهذا التوجه، الذي ينطوي على نوع من السجود للحرب «كمؤسسة» طبيعية في الحياة الاجتماعية، يمكن أن

يتجلى أيضاً في منح مكانة رفيعة للمؤسسة العسكرية وللعسكريين إلى حدّ الاستعداد لتسليمهم زمام السلطة[٥].

كان اصطلاح النزعة العسكرية قد راج في القرن التاسع عشر تعبيراً عن النقد الذي وجهته المحافل الليبرالية والاشتراكية لطبقة الأرستقراطيين وكبار ضباط الجيش إزاء طريقة تفكيرهم وتطلعاتهم السياسية. وكانت النزعة العسكرية بمثابة وجهة نظر وأنماط تفكير اكثر منها أيديولوجية - عقيدة - أو نظرية.

تقوم النزعة العسكرية على وجهة نظر مؤداها أن الحرب هي عامل دائم ومكون ثابت في الحياة الإنسانية، وأن السلام ليس سوى هدنة تحضيرية استعداداً لها.

تنحو النزعة العسكرية إلى تعريف الدولة بمصطلحات التعظيم العسكري المجردة، وبالتالي يصبح التعاظم العسكري هدفاً في حد ذاته. وتغدو وسائل التهديد والإكراه والتلويح بالحرب وسائل مشروعة في السياسة ومن هنا أيضاً الاستعداد المفرط لممارسة العنف.

طبقاً لوجهة النظر هذه، فإن للحرب وظائف إيجابية في استنهاض وتفعيل المجتمع وضخ دماء وطاقات خلاقة في عروقه. كذلك تشكل الحرب، حسب وجهة النظر ذاتها، وسيلة فرز طبيعية بين الشعوب والأمم، كالحد من النمو السكاني لدى المجتمعات والبلدان ذات الكثافة السكانية العالية، وكحل للأزمات والمشاكل الاقتصادية مثل البطالة، ونتيجة / وبحكم / كل ذلك فهي - الحرب - وسيلة أساسية للتقدم الإنساني.

وتنطوي النزعة العسكرية على ميل نحو استبعاد ناموس الأخلاق والعدل في العلاقات بين الأمم وتصويرها كنواح عاطفية مشوهة وعلى المستوى الشخصي توصف الحرب من جانب النزعة العسكرية كوسيلة اشفاء للمواطن تكشف وتجسد مزاياه الإيجابية، كالرجولة والشجاعة والبطولة والإخلاص والتضحية والقدرة البدنية الخ...

فهي تحرر الإنسان من ذاتيته وقوقعته وانكفائه على نفسه، وتدفعه في غمرة من السمو بالنفس نحو الاندماج في مجتمعه القومي.

من هنا يأتي التأكيد على الأهمية الجماعية للجيش وتفضيل الانضباط والروح الوطنية في مقابل النزعة الفردية وتطلعات الفرد. فالخدمة في الجيش هي أرقى أشكال الخدمة الجماعية.

لقد كان هناك في الماضي، وأحياناً في الحاضر أيضاً، ميل نحو تمجيد النزعة العسكرية والحرب، وهو ما أشار إليه «هيغل» الذي قال فيما قاله:

يتعين على الحكومة، من حين إلى آخر، أن توقظ مواطنيها من سباتهم، بواسطة الحروب. عليها أن تمس من خلال ذلك، نمط حياتهم المنتظم، الرتيب، وحقهم في الاستقلالية، وان تشوش وتقلب عالمهم رأساً على عقب»[٦].

هناك توجه مشابه لدى تريتشكا الذي قال:

«اللجوء إلى السلاح يظل قائماً حتى قيام الساعة وفي ذلك تكمن قدسية الحرب».

ويقول رينان «الحرب هي وسيلة للنهوض من الوهن[٧].

ثمة ميل يساوي بين النزعة العسكرية وبين العدوانية كظاهرة معاكسة لـ «اللاعنفية».

أحياناً يمكن أن ترتدي النزعة العسكرية صبغة الميل إلى نمط حياة عسكري، وإلى التلهي بطقوس ورموز عسكرية دون أن تكون هذه مرتبطة بالتطلع أو السعي فعلياً للحرب.

أن العدوانية الكامنة في نزعة عسكرية من هذا الطراز يمكن أن تكون ذات صبغة «روحانية» وليس صبغة عملية. لذلك نلاحظ أن النزعة العسكرية تزدهر أحياناً في أوقات السلم اكثر من أوقات الحرب، وأنها منتشرة في صفوف المدنيين بالذات. ويمكن لهذه النزعة أن تجد تعبيراً لها في الثقافة والأدب والشعر، وفي المظهر - اللباس - والسلوك[٨].

منذ الحرب العالمية الثانية، وبتأثير المعاناة الناجمة عنها، طرأ تراجع ملموس في تقديس النزعة العسكرية بصورتها «الكلاسيكية» وذلك في أعقاب الهزيمة الساحقة التي منيت بها الدول الفاشية التي تبنت هذه النزعة، وظهور اتجاهات فوق قومية (معولمة) في العالم المتنور. كذلك لم يعد بالإمكان، في ضوء الأهوال والفظائع المتوقعة للنزاعات (والمواجهات) الذرية، العثور على رومانسية مفرطة في الأعمال الحربية[٩].

لكنه لا زال يمكن العثور على نزعة عسكرية بمظهر جديد، يخلو من معظم المظاهر الخارجية المألوفة للنزعة وتقديسها، وذلك في مفاهيم ماوتسي تونغ الذي ربط «الثورة بالحرب، معتبراً أن الأخيرة تصنع التاريخ وتحقق الخلاص السياسي والاجتماعي للعالم»[١٠].

وقد عبر عن آراء مماثلة أيضاً تشي جيفارا وقادة «الألوية الحمراء» وزعماء منظمات فلسطينية في منطقتنا [١١] .

المجتمع الإسرائيلي الذي «يعيش بحد السيف والقوة» منذ أواخر القرن التاسع عشر، مع موجات الهجرة الأولى («الهجرة الأولى» ١٨٨٢)، يشهد عمليات تحول، واعية ولا واعية، نحو العسكرة. وهناك عدد متزايد من الكتب والقصص والقصائد والمقالات التي تتعرض لجوانب مختلفة للحروب وأسبابها ونتائجها، كذلك هناك سلسلات كتب متداولة تدور بشكل أساسي حول الروح العسكرية للجيل الشاب، مثل كتب يغئال موسينزون، م. غرعين، يسرائيل لرمان، دبورا عومر، غاليله رون فدر – عميت، أن شريغ، أفنير كرميلي، عيران شورير وغيرهم.

وتعبر عمليات العسكرة عن نفسها في عدة مجالات :

أ. «مصبغة الكلمات»(لغة عسكرية) :	
مفتساع - بمعنى عملية عسكرية	تستعمل أيضا للتعبير عن تعبيد شارع وحملة خصم للمبيعات-
تسير - خط عسكري	تستعمل بمعنى شارع
عيرف هتسدعا- أمسية تحية عسكرية	تستعمل أيضا لأمسية تكريم لكاتب، شاعر، ملحن،الخ...
كيبوش - احتلال	تبوا - مكان في الحكومة، في الكنيست، في السلطة المحلية الخ...
حيموم هكنيه- تسخين قصب البارودة	استعدادات أو تحضيرات لعرض فني.
نيسوي كليم- اعداد الأدوات القتالية	مراجعة أمام مدعوين.
سديه موكشيم - حقل الغام	عوائق وعقبات مختلفة على طريق تحقيق الهدف.
تنك أنوشي - دبابة بشرية	وصف لرجل قوي وعنيف.
بونكر - خندق	تقوقع، انكفاء على الذات.
غايس حميشي (طابور خامس)	الناس الذين يشكك في اخلاصهم
حود هحنيت (رأس الحربة)	من يسير في المقدمة (الطليعة).
كوشر سفيغا (قدرة تحمل أو امتصاص)	القدرة على مواجهة متاعب - مصاعب - مختلفة.
نيكوي شيطح (تنظيف - تطهير - المنطقة)	احتلال، قتل، ودمار (١٢) .

ب. تسرب «الجنرالات» الى السلطات والمؤسسات المدنية :

ممشيلت غنراليم - «حكومة جنرالات»	
وزير الثقافة والعلوم والرياضة	* الجنرال (احتياط) متان فيلنائي
وزير النقل	* الميجر جنرال (احتياط) افرايم سنيه
رئيس الوزراء	* الجنرال (احتياط) إسحق رابين،ايهود باراك،
وزير الأمن	* الجنرال (احتياط) ارئيل شارون،
	* الميجر جنرال (احتياط) بنيامين بن اليعازر.
	* الجنرال (احتياط) اسحق مردخاي.
وزير الزراعة	* الجنرال (احتياط) موشي ديان
	* الجنرال (احتياط) رفائيل ايتان
وزير السياحة	* الجنرال (احتياط) رحبعام زئيفي
	* الجنرال (احتياط) أمنون ليبكين شاحاك
وزير الشرطة	* الميجر جنرال (احتياط) افيغدور كهلاني
	* الجنرال (احتياط) يغئال يدين
نائب رئيس الحكومة	* نائب رئيس الشاباك غدعون عزرا
وزير الشرطة	* الميجور جنرال (احتياط) ايفي ايتام
وزير حكومة	

ت. رؤساء الدولة

	حاييم هرتسوغ عيزر وايزمان (كلاهما جنرالا احتياط)

ث. رؤساء بلديات

(أصحاب رتب عسكرية عالية في الاحتياط)	
تل ابيب يافا - شلومو لاهط	هرتسليا - يوسف نافو
حيفا - عمرام متسناع	ايلي لانداو
بات يام - يهوشع ساغي	بئر السبع - يعقوب تيرنر
الخضيرة - يسرائيل سادان	طبريا - بيني كرياتي
بيتاح تكفا - غيورا ليف	الرملة - يوئل لافي
رمات عان - تسفي بار	نتانيا - تسفي بولاغ

ج . مدراء شركات تجارية وحكومية
موشي ليفي، تسفي زامير، بيني بيلد مردخاي مكليف، عاموس أمير، مئير عميت، دان شومرون، حاييم لاسكوف، يعقوب بيري، ابراهام يافهن، عاموس يارون، شبتاي شفيط، رافي بيلد..

ح. مدراء مدارس وجامعات (١٣)
رون خولدائي، دوف أورباخ، يشعياهو تدمور، عاموس حوريفن، اهرون ياريف، رون كتري، نمرود ألوني

خ. سفراء وقناصل
كرمي غيلون، ديفيد عبري، ران بيكر

كتب ديفيد غروسمان:

«. . . وتعزيز الشاباك . . . والشرطة وحرس الحدود، دولة مخابرات (شاباك) وحرس حدود وشرطة . أجل! بدون أي مواربة . . . لا خيار . فقد كتب علينا في الحقيقة أن نقيم هنا دولة إسبارطية . . . دولة مشهد عسكري»! [١٤] .

الأدب والتربية بناء على أساطير عسكرية

تضم كتب الأطفال والشبيبة التي وفرت أرضية للأدب ذي السمات والملامح العسكرية، الجلية منها والخفية والتي تركت بصمات واضحة على أجيال من الأطفال، الكتب التالية :

«شمونه بعكبوت إحاد»(ثمانية في أعقاب واحد) بقلم (يميما تشرنو فيتش - أبيدا، ١٩٤٥)، والذي دار حول قصة مغامرات وبطولة للأطفال، كتعقب ومطاردة لجاسوس على صلة بنشاطات في منظمة «الهاغاناه»[١]. **«حفورا شكزوت»**(مجموعة كهذه) (فوتشو - يسرائيل فيسلر ١٩٥٠)، وكتب أخرى من تأليفه، تتناول في شكل أساسي تجارب ومكائد - نزوات - مرتبطة لتأهيل الجنود لقوات «البالماح»، وسلسلة **«حسمبا»** التي كتبها (يغئال موسينزون، ١٩٥٠)[٢].

وفي أدب الكبار نجد **«تحموشت كلا»**(ذخيرة خفيفة) تأليف (حاييم حيفر، ١٩٤٩). **«حقيبة الأكاذيب»** للكاتب (دان بن أموتس وحاييم حيفر، ١٩٥٦)، **«قصص من المعركة»**، «مجموعة أدبية لكتاب جنود»(مفكرة «دافار» ١٩٤٩ - ١٩٨٩)، و**«على محك المعارك»**(الجيش الإسرائيلي : جهاز الثقافة)[٣].

جميع هؤلاء وغيرهم، اجتهدوا في تصميم وبلورة الصورة النمطية، الأسطورية،

والنموذجية لـ «جيل ١٩٤٨» وفي محوره «جيل البالماح»[٤].

ومن بين الكتاب البارزين الذين كتبوا كثيراً عن الجيش والحروب، هناك بشكل خاص الشاعر والكاتب حاييم غوري[٥]، وكاتب القصائد الغنائية حاييم حيفر، والأدباء س. يزهار[٦] وموشيه شامير[٧].

جزء كبير من الأدب الصهيوني الطقوسي مخصص لأدب الحرب وبالأخص أدب ثكل وتخليد ذكرى قتلى الجيش والحروب الإسرائيليين الذي تغلغل وجرى استيعابه وتمثله على هذا النحو في المؤسسات والأجهزة التربوية والثقافية الإسرائيلية[٨].

تستحوذ الأساطير الصهيونية على حضور منتظم في أدب جميع الفئات العمرية، علماً أن أغلب هذه الأساطير مرتبطة بجوانب القوة العسكرية، وهو ما يتجلى سواء في كتب التعليم أو في الأدب القصصي والتأملي. ومن الأساطير الأساسية «منقذونا»، «قلة في مواجهة كثرة»، «القيد»، «خلاص أرض إسرائيل»[٩].

في قسم لا يستهان به من الكتب والقصص، ثمة ميل لاستخدام توصيفات مثالية، ولإخفاء الألم، والمعاناة والثمن المترتب على الحرب، إضافة إلى أن الميل في الغالب نحو تجريد العدو من الصفة الإنسانية:

«تسرب أيضاً إلى قسم من قصصنا حول الحروب، والتي ظهر فيها جميع جنودنا في صورة أبطال لا تشوبهم شائبة، فيما بدا جميع الأعداء في صورة حثالة البشر، وقد انتهت جميع المعارك بانتصارات لصالحنا، كما انتهت جميع الأمور «على اكمل وجه». وحسب إحدى القصص المعروفة، فإن الصبي اليهودي قتل بنفسه خمسة من الغوييم - الأغيار - الذين جاءوا ليعيثوا خرابا في إسرائيل، ولا زال يعيش ويحيا في روح جديدة»[١٠].

ويحفل أدب «جيل ١٩٤٨»، ولا سيما أدب الكتاب «الصبار»، بالتعابير والمفردات العسكرية، النخبوية والنرجسية، بمعنى: أنا وغيري لا شيء»[١١]

ومن هذه المصطلحات: «حملنا على اكتافنا»، «قاسينا على جلدنا»، «شقاقو الطرق»، «ضربنا»، «استولينا»، «معفليم»، «إخترقنا» «صنعنا» «نحن»، «لنا» وغيرها.

أما «طهارة السلاح» كمبدأ طوباوي، لا وجود له في الواقع ، فهو جزء من الأسلوب الأدبي، القصصي، ومن واقع الحروب والقتال، وهو يشير بصورة شديدة الوضوح إلى تغلغل النزعة العسكرية إلى الأدب :

«كانت تلك قطعة جديرة بأن تحترم. هذه ليست مجرد قرية تبصق عليها. . . ليست شخصاً ما يسير على الأقدام. . . جاء خبراء المتفجرات مثل اللوردات ونسفوا على حين غرة البيوت التي نالت إعجابهم، ثم أحرقوا باقي البيوت. واحتفظوا ببعض الأشياء للذكرى»[١٢].

عملية العسكرة ودخولها إلى الأدب، نشأت وتطورت إثر تنمية أساطير ونماذج مختلفة من قبيل : القائد العسكري كشخصية يحتذى بها وذات قدرات غير محدودة، والقائد كشخصية أبوية، والمحارب كرجل أخلاقي «طيب القلب» «نقي السريرة»، والجندي المقاتل كشخص ذي مكانة رفيعة، والمحارب العبري المتفوق على المحارب العربي، والطيار كشخص فوق الجميع و «كل الاحترام والتقدير لجيش الدفاع الإسرائيلي». و «دعوا الجيش الإسرائيلي ينتصر».

وتنسب للعربي في أدب الأطفال وسائر الفئات العمرية الأخرى ، صورة متناقضة في الغالب، فيما يتعلق بالحرب والعنف كما وتتعرض صورته للتشويه والتجريد من الإنسانية. فمن جهة يوصف العربي كالعبري القديم، «كمخلوق نبيل» وكنموذج («اليهودي الجديد»، لكنه (أي العربي) غالباً ما يقدم كشخص ينتمي إلى ثقافة ضحلة؟ («عربوش»)، و «من نسل إسماعيل»، وهو نعت شائع (للعربي) خاصة لدى زعماء أحزاب اليمين، وأحياناً يوصف كـ «هتلري»، («هتلر على ضفاف النيل»)[١٣] .

ويقدم العربي، سواء في كتب التعليم أو في أدب الصغار، كشخص جاهل، متخلف، اتكالي، متوحش وقاتل (لا يقدم بتاتاً كمقاتل من أجل الحرية والتحرير !)، وسليل ثقافة بدائية، وكبدوي قادم من الصحراء و «كعدو حاقد على الشعب اليهودي»، و «كصعلوك – حثالة جاهل» محرض ومندفع، همجي وسريع الانفعال[١٤].

ويظهر العرب في معظم الأعمال الأدبية والروائية كأناس يفتقدون إلى هوية خاصة

وإلى شخصية مستقلة . كما أنهم يظهرون في صورة جمل واهن هزيل، مهزوم، يتراجع ويلوذ بالفرار في أول فرصة، أما مدن وقرى العرب فيتم وصفها بصورة سلبية للغاية : فهي دائماً ملوثة، قذرة، يعيث فيها القمل والبراغيث، يرتدي سكانها ملابس واسمال بالية رثة، قذرة ونمط حياتهم مليء بالدنس [١٥] .

في الأدب القصصي من النادر العثور على تعبير أو أثر لمسائل «طهارة السلاح»، هدم البيوت، السلب والنهب، الاغتصاب والمذابح . هذه المسائل تظهر بشكل أساسي في الأدب النظري والبحثي، ونجد مثلاً :

« . . . . عندما أغرنا على سعسع، توغلنا داخل القرية وفجرنا العشرات من بيوتها . لم نعبأ بسكان البيوت، فكرنا فقط بمصيرنا . . . مع ذلك، وعندما شاهدنا في الصباح، بعد المعركة على صفد، آلاف الناس، نساء وأطفالاً، يرتقون سفوح جبل ميرون هرباً، لم نقم بملاحقتهم . . . »[١٦] .

خلافاً لهذا النص المقطع، الذي يمكن للمرء أن يتلمس فيه بصيصاً من الشفقة والتفهم للعدو، رغم نسف البيوت على من فيها من أهالٍ، فإنه يمكن العثور على أوصاف أخرى مختلفة :

«قد انقضوا في طابور طويل يتحرك بسرعة إلى الأمام . . . وهم يزأرون . كانت البوارید تبصق الموت بحقد متوقد على العدو . . . في هذه اللحظات يخالجك إحساس حب جياش لرفيقك في القتال، وبمقدار ما تحبه، بمقدار ما تزداد كراهيتك للعدو . . . فتنقض لأنك تكره عدوك . . . »[١٧] .

وتتميز النصوص والرموز العسكرية في شكل أساسي بنزع إنسانية «الآخر» . وتتجلى السمات الأساسية لهذا الأمر في : غياب التعبير العلني العفوي لفكرة أن «أعداءنا» هم بشر مثلنا . فالنصوص تكاد تخلو تماماً من مظاهر النقد لوسائل القمع والقهر والعقوبات الجماعية ضد الأقلية العربية في إسرائيل والفلسطينيين في المناطق (من قتل وجرح وهدم بيوت وحظر تجول وإغلاق وحصار وتعذيب وتدمير للمزروعات والأراضي الزراعية وغيرها من ممارسات) [١٨] .

غالبية الكتب والقصص تعبر عن الإجماع القومي فيما من النادر العثور على تعبير عن إمكانية أنه ربما كانت مواقف «الآخر» تنطوي على قدر معين من المشروعية والصدقية فـ «نحن المحقون والطيبون دوماً و . . . هم السيئون والمذنبون دائماً»[١٩] .

وتتجلى عملية نزع الإنسانية في الأدب بصورة أساسية في تجاهل «الآخر» خصوصاً أعماله وخصاله الجيدة، وبذلك فإن الأدب لا «يرى» ولا «يشعر»[٢٠] .

والأدب «كمؤسسة» للتربية والتنشئة الاجتماعية تخدم غالباً الوطنية الإسرائيلية وتسهم بذلك في تقوية «فيروس التعصب» والعمى الإنساني تجاه معاناة الآخر وعسكرة النصوص وقرائها . مثل هذا الأدب يربي قراءه الصغار على الروح الوطنية المفرطة التي تفضي إلى التعصب القومي، وحب الوطن والولاء المطلق للدولة بدون ضوابط، وإلى تكريس النزعة العسكرية [٢١] .

أدب الأطفال والفتيان

«. . وتحدث عن المحتلين والمعركة
ويهمس الصغير من بين الأولاد:
جدي هو الذي أنقذ الوضع
مثل هذا الجد يضمن الأمان»

(حاييم حيفر، كانت أوقات)

مدخل:

يعتبر أدب الأطفال عموماً، وعلى الأخص هذا النوع من الأدب الذي ينطوي على قدر معين من المنهاجية، موضوعاً شائكاً نظراً لأن هناك حاجة دائمة لتعريفه وتحديده ونقده من زاوية جمالية، تربوية، أيديولوجية وما إلى ذلك. وتنبع الصعوبة الأساسية من كون كتب الأطفال تعتبر وسيلة لتحقيق هدف، وليس عملاً أو إنتاجاً أدبياً في حد ذاته [١].

ثمة في الكثير من كتب الأطفال توجهات وميول علنية أو مستترة نحو التعليم، التربية، الوعظ وتمثل معايير وقيم.

يقول درتسون إن كتب الأطفال «الحقيقية» يجب أن تولد بالتأكيد متعة لدى الأطفال [٢].

وتقول مرغوري فيشر إن «كتاب الأطفال الجيد يجب أن يكتب من القلب ومن خلال

ذاكرة وإنشداد الكاتب بطفولته، وأن يصنع عالماً خاصاً يكون الطفل مهيئاً للعيش فيه بصورة فاعلة وإرادية»[٣].

ولا يجوز التفادي عن أن كتب الأطفال تكتب من جانب بالغين لديهم تجارب في الحياة ووجهات نظر وطرق فيها تنوع واختلاف. لذلك نلاحظ أن النصوص والرموز العسكرية الموجودة في أدب الكبار موجودة أيضاً، ولو بصورة أقل حدة واكثر رمزية، في أدب الأطفال [٤].

هذه النصوص والرموز مرتبطة غالباً بأدب الأطفال الذي يتناول ويعكس العلاقات اليهودية - العربية عامة والصراع الإسرائيلي - الفلسطيني، خاصة [٥].

في أدب موجات الهجرة الأولى والثانية أُعتبر العربي على أنه مواطن البلاد الأصلي، بل وكسليل للعبريين القدماء، لذلك نجد أن التعابير والاصطلاحات المعبرة عن النزعة العسكرية قليلة نسبياً مقارنة مع الفترات اللاحقة [٦].

في مستهل تفحص هذا الموضوع في كتب الأطفال الإسرائيليين لا بد من التنبيه من خطر الوقوع في شرك الرؤية الانتقالية، والإمتثال السياسي من خلال توجهات تربوية وقومية مختلفة تبدأ بالورع المفرط وتنتهي، في النتيجة، بالتطرف القومي [٧]. وبطبيعة الحال فإنه لم يجر تفحص جميع كتب الأطفال، إذ أن هذه تبدو مهمة شبه مستحيلة، وإنما فقط الكتب المتعلقة بموضوعنا والتي اكتفينا بمعاينة جزء منها.

أحياناً يكون موضوع النزاع والحرب الموضوع المركزي في الكتاب، وعندئذٍ يمكن العثور على تعابير عسكرية كثيرة، وأحياناً يرد الموضوع لماماً أو بشكل عابر، وفي هذه الحالة تظهر التعابير والرموز بصورة خافتة أو متواضعة.

ادراك مشكلة النزاع يعبر عن نفسه في عدد كبير من الكتب:

«سأل أفنير أباه مرة أخرى: أليست أرض إسرائيل هي بلاد اليهود؟ ولكن العرب أيضاً يقطنون فيها، فهل يوافقون على أن تكون لليهود؟!!»[٨].

وفي مقطع أدبي آخر:

«صمت جمعة فتوقفت عن الكلام. فهو محق، ونحن محقون. نحن لم نطردهم (؟!)

ولكنهم مطرودون . . .»[٩].

في هذين المقطعين جرت محاولة للتوازن، فهل تكون الحقيقة المطلقة بأكملها دوماً إلى جانبنا؟

«أخبريني يا زيفا (المدرِّسة) هل سمحوا لكم بالسباحة في نهر الأردن، دون أن يطلقوا عليكم النار؟

سألت ياعل (التلميذة). «كلا يا أولاد، ففي تلك الأيام عم السلام بيننا وبين العرب القاطنين شرق الأردن: ولماذا تسود الآن كراهية بين العرب المقيمين هناك وبيننا؟[١٠]

كان ذلك وصفاً لخلفية أحداث الحرب. . . هنا تحذو كتب الأطفال حذو كتب الكبار ووسائل الأعلام، فلا وجود لتوجه نقدي أو تغريد خارج السرب.

على خلفية عمليات الثأر ونسف مقر شرطة قلقيلية على يد الوحدة (١٠١)، كتب م. غرعين:

«قلقيلية!

هذا الاسم وحده ارتعدت له فرائصنا قليلاً، إذ كنا نعلم جيداً بأن قلقيلية هي بلدة أردنية يحيك سكانها المؤامرات والمكائد ضد إسرائيل»[١١].

وفي مقطع آخر:

«أبي، أبي، لقد ذبحوا في الخليل عدداً كبيراً من اليهود. . . بل وقتلوا عدداً كبيراً من الأطفال هناك. . . في الخليل، وموتسا. . . وفي أماكن أُخرى»[١٢].

ثم على أرضية حرب «التحرير»:

«كانت أورشليم محاطة من جميع جوانبها بعرب تواقين للحرب. في الطريق المؤدية لأورشليم نصبت كمائن على يد عرب معادين. . . وهوجمت القافلة بأكملها. . . [١٣].

ويرتبط الاستيطان اليهودي في أماكن جديدة بصورة دائمة بصراع مصيري على الحياة والموت مع العرب والبدو:

«وعما زاد الطين بلة، مصيبة البدو القاطنين شرق نهر الأردن. فقد حسدوا اليهود الذين جاءوا للاستيطان على حدود أرضهم»[١٤].

وفي قصة حول هجرة مجموعة من اليهود، يجازف عدد من الفتية الإسرائيليين متحدثين عن خلفية أعمالهم :

«هذا دليل على أن المكان هو مطعم اليهودي.. انظروا الى النافذة المحطمة، هذا كما يبدو من مخلفات معركة سيناء، عندما قام المصريون بالانتقام من اليهود»[١٥].

ويقدم المحاربون العرب على الدوام في صورة أشرار متوحشين يتركون جرحاهم في ساحة القتال وحتى يقتلون الأطفال.

وتتجسد أجواء الترهيب والرعب والكراهية التي يحاط بها العربي في العديد من الكتب.

«فلسطين بلادنا واليهود كلابنا، فلسطين بلادنا واليهود كلابنا! بهذه الصرخات المتتابعة اندفع الحشد مقتحماً الساحة»[١٦].

وعن الأولاد الذين كانوا يقعون في أسر رجال العصابات في أيام أحداث ١٩٢٩ :

«لكن، عندما أدار شمشون رأسه إلى الوراء، بوغت برؤيته للعرب يصوبون نحوهم بنادقهم... هذا عود المشنقة!... يضعون ربطة على العنق ويشنقون!»[١٧].

ويتحدث مقطع آخر عن رجال العصابات الذين يخططون لهجوم ويهددون باغتصاب نساء يهوديات. ويوصف العدو كرعاع يسعون إلى قنص الغنائم، وكأناس متوحشين مرعبين :

«هل تكفي النساء لنا جميعنا! إن شاء الله يكفين! الشباب الذين أبعدوا في القتال سيحصل كل واحد منهم على فتاة إضافية... مرحى! سنبين لهؤلاء اليهود الكلاب من نحن»[١٨].

وفي مكان آخر وصف العرب :

«.... وطردنا الأوباش الذين دخلوا إلى أرض إسرائيل ساعين إلى تخريب

مستوطناتنا»[١٩].

العرب كمحرضين : يعزا التحريض غالباً إلى عامل مقاومة التحضر واضطراب الحياة التقليدية، وإلى التحريض الذي يمارسه الزعماء العرب، ولكن ذلك لا يعزا أبداً إلى التطلع الوطني الفلسطيني وإلى طرد العرب على يد المستوطنين اليهود :

«أطل العرب من بين التلال المحيطة بالكيبوتس . . . انقضوا يرددون صرخات همجية، بدون خطة أو نظام. لم يكن هؤلاء جنوداً وإنما قرويين محرضين»[٢٠].

مثال آخر على التحريض :

«ذات يوم جاء لي سراً رجلان وقالا لي : يا آمنة، اذهبي واسرقي التنكات. . »[٢١]

شخصية العربي : في معظم الكتب والقصص تظهر شخصية العربي بصورة سلبية، حيث يجري الحديث بإسهاب عن الصفات السيئة لهذه الشخصية والتي غالباً ما تقترن بالتهديد والترهيب وسط تجريدها بشكل سافر، من الصفة الإنسانية :

«أريد رؤية متسلل! كيف يبدو المتسلل يا أبي؟ . . . ملابسه فقط تختلف عن ملابسنا»[٢٢].

ويوصف رجل العصابات :

«لمعت عيناه المتوهجتان بالغضب على صفحة وجهه المكفن تحت جبين ضيق صغير. كان شاربه الطويل (مفتولاً) مشرئباً وكثيفاً ينتصب كقرني الثور، فيما أضفى أنفه المعقوف على وجهه مظهر طير جارح، مفترس غليظ القلب»[٢٣].

وفي قصة أخرى :

«تدلت على خاصرته اليمنى شبرية قصيرة حادة جداً وعلى خاصرته اليسرى مسدس ضخم. . . فيما كانت أصابعه تداعب موسى كباساً. كانت عيناه تلمعان كحد الشبرية. . . أما أنفه فقد بدا أشبه تماماً بمنقار نسر ذي مقاييس ضخمة»[٢٤]. كان ذلك وصفاً لتاجر

بدوي مخيف . وفيما يلي وصف لشيخ متعصب :

«ومضت عيناه ببريق دائم ، فيما استرخت تحت شاربه الكثيف الذي بدا وكأنه لم يقصه قط ، ابتسامة متعجرفة ماكرة»[٢٥] .

ويوصف كبير الجواسيس المصريين :

«الذي كان يشبه النسر اكثر مما يشبه الإنسان . . . انه يفكر طوال الوقت ب . . . الذبح النهائي . . . وبغريزة مقيتة ، ماكرة ، ذات نوايا شريرة . . . يخطط لعمليات القتل والتخريب»[٢٦] .

وعن المحارب العربي أثناء القتال :

«كان ذلك في خيمة قذرة جداً ، حيث جلس مقامران قلبا أوراق الشدة . . . . وما هي إلا لحظات حتى يتشاجران ويسحبان السكاكين على بعضهما ! فهم مستعدون للموت في سبيل مبلغ بخس من المال ! »[٢٧] .

وعندما يقع المقاتل العربي في الأسر فإنه يوصف بالجبن والخيانة والغدر :

«ما الذي كنتم تنوون عمله بكل هذا السلاح ؟ ماذا تريدون أن تفعلوا بهذا السلاح؟ لا نعرف يا خواجه . . . لا نعرف . . . القائد . . . هو أمرنا . . . نحن لا شيء ! »[٢٨] .

في معظم الكتب والقصص يبدو العربي شريراً ، خبيثاً ، وشكله مثير للخوف والرعب ، واليهودي يظهر متفوقاً على العربي ثقافياً ، ومادياً ، لا يوجد مقاتلون عرب بدوافع ايديولوجية ، ، هذه الدوافع لدى اليهود فقط [٢٩] ، كذلك هناك تجاهل تام لوجود حركة قومية للعرب وطموح لإقامة دولة مستقلة للفلسطينيين [٣٠] .

علاقة اليهود بالعرب في ظل الصراع – عاش اليهود بسلام وأخوة مع المسلمين – هكذا قالت امرأة يهودية هاجرت من العراق :

«إلى أن بدأ المسلمون في البلاد النزاع مع اليهود في القدس وتل-أبيب – انتهت الأيام

الجميلة وبدأت الكراهية تشتعل بين اليهود والأغيار في بغداد ومدن عراقية أخرى [٣١] .

كانت علاقاتنا مع العرب طيبة، قبل حرب ٤٨ ، عشية الحرب نزح العرب عن قريتهم لأن اليهود أرادوا قتل جميع سكان القرية [٣٢]» .

في كتاب «صداقة على المحك »من تأليف دوريت أورغاد [٣٣] لم يوفق حميد، طالب الطب العربي في استئجار غرفة لدى عائلة يهودية، يشعر بالمذلّة والإهانة وفي النهاية عندما ينجح يُطرد من الشقة بعد وقت قصير إذ اكتشف إنه عربي.

في إستطلاع اجراه البروفسور أدير كوهين بين ٥٢٠ طالباً من المدارس الابتدائية في الكرمل ، بحيفا، عن شخصية العربي وتأثير الأدب على تكوين هذه الشخصية انكشفت صورة مذهلة تؤكد على عملية العسكرة في التربية في سن مبكر :

* لدى ٧٥٪ من الطلاب ارتبطت شخصية العربي بالمجرم، المخرب، الأهبل خاطف الأطفال وغير ذلك.
* لدى أكثر من ٨٠٪ شخصية العربي : يعيش في الصحراء، يصنع الخبز (العربي)، يعتمر الحطة، يرعى الغنم، وله شكل مثير للخوف، وقذر.
* ٩٠٪ منهم لا يعترفون بحق العرب بالعيش على هذه الأرض، وكذلك يرفضون منح العرب في إسرائيل حقوقاً متساوية (مع اليهود).
* فقط ٢٠٪ تحدثوا عن صفات ايجابية للعرب، وهذا أيضاً من منطلق نفعي واستعلائي.
* فقط ١٠٪ ينظرون إلى العرب كبشر عاديين.
* ٥٨٪ أشاروا إلى أن كتب الأطفال التي قرأوها هي التي أثرت عليهم في تكوين نظرتهم إلى العرب، معظمهم أشاروا إلى شخصيات وأحداث سلبية [٣٤] .

مثال على ذلك :

«نطفة كبيرة قبحّت جبهته السمراء، وجهه ذكرني بطير جارح. في عينيه الصغيرتين نظرات وقحة. . . [٣٥] .

معظم كتب التعليم التي تتناول العرب أو تذكرهم، تقدم شخصياتهم بشكل مقولب سلبي، من منطلقات قومية لا إنسانية وموجهة للتأثير على القارئ الساذج [٣٦] .

في أوصاف العربي تظهر المميزات السلبية التالية (٣٧) :

الصفة	عدد الكتب
شوارب كثة	١٣١ كتاباً
نطف (علامات على الجلد)	٩١ كتاباً
وجه غاضب وشرير	٧٧ كتاباً
أنف معقوف	٥٩ كتاباً
عيون مرعبة	٥٧ كتاباً
وجه طير جارح	٤٩ كتاباً
مشوّه	٤٧ كتاباً
أسنان صفراء وعفنة	٤٣ كتاباً
نتوئات في الوجه	٤١ كتاباً
حول في العين	٣٩ كتاباً
وجه غليظ	٣٧ كتاباً

أمثلة على ذلك تجدها تقريباً في جميع الكتب، التي تصوّر العربي على أنه «الآخر»[٣٨].
كذلك أنماط العادات والسلوك والقيم الأخلاقية والمواقع الاجتماعية والاقتصادية وغيرها، كلها تظهر سلبية، وهكذا توصف في ٦٣ , ٥٪ من مجموع ٥٢٠ كتاباً تناولها البحث [٣٩].

الوصف	عدد الكتب
قاس	٦٦ كتاباً
ماكر	٥٢ كتاباً
جبان	٤٤ كتاباً
كاذب	٣٧ كتاباً
متلون	٢٨ كتاباً

خائن	٢٧ كتاباً
متملص	٢٢ كتاباً
مبالغ	١٩ كتاباً
منافق	١٨ كتاباً
شكّاك	١٨ كتاباً

أنماط الشخصية العربية في مجال العسكرة :

الوصف	عدد الكتب
جيش مقاتل	١٠١ كتاباً
رجال عصابات	٥٧ كتاباً
مخربون	٣٦ كتاباً
قطاع طرق	٤٢ كتاباً
حرامية	٤١ كتاباً
خاطفو طائرات	٣١ كتاباً
جواسيس	٢٩ كتاباً
قنّاصة	٢٧ كتاباً
حارقو غابات وحقول	١٧ كتاباً

وهناك نماذج أدبية أخرى عديدة [٤٠].

يصور العرب كشخصيات سخيفة ومثيرة للسخرية وتؤمن بالشعوذة والسحر [٤١]. وهذه محاولة أخرى لنزع الصفة الإنسانية عن العرب، كما يقول تسفي لام :

«نزع الصفة الإنسانية عن العدو هي محاولة لتصفيته في وعيك قبل الدخول معه في معركة وذلك بواسطة نفي إنسانيته أو التقليل منها، لكي لا تعرقل مشاعرك وضميرك

محاولتك القضاء عليه في أثناء المعركة أو لكي تتغلب على مشاعر الخوف منه [٤٢]. وأما الصفات الإنسانية المنزوعة عن العرب فهي تكثر في أدب الأطفال :

«أفعى رقطاء»، «ثعلب»، «ذئب»، «حمار»، «غزاة»، وغير ذلك [٤٣].

في أدب الأطفال هناك تمجيد للقيادات والأبطال والمقاتلين (اليهود) في قتالهم مع العرب المتخلفين عادةً [٤٤].

هكذا تكتب يميما تشرنوفيتش - أفيدار التي تؤكد على سيرة اليهود في أرض إسرائيل وتواصل التواجد اليهودي على مر الأجيال [٤٥].

وهكذا كتب يعقوب حورغين وتسفي وأشير براش في الماضي واليوم يكتب يهوآش بيبر ويفئال بن نتان واوريئيل اوفك وبنينا زار وعوديد بيتسر وغيرهم [٤٦].

وأما الوصف العسكري الأكثر وضوحاً في الأدب فهو في سلوك اورد فينغيت («الصديق»).

«جيرانكم متلونون» [٤٧].

«في هذه المرة لن نعفي عن الأسرى - اقتلوهم جميعاً»

«في ذلك اليوم لم يهتم فينغيت بالقبض على أسرى، فكل من حاول الهروب وكل من شوهد يطلق النار أو يحمل السلاح - أُطلق عليه النار وقُتل [٤٨].

في حروب إسرائيل - بعد قيام الدولة، والتي كانت في معظمها حروباً يمكن تفاديها، وقد وقعت بسبب استبعاد فرص السلام، هناك أوصاف أدبية كثيرة يمكن اعتبارها تربية على العسكرة وتهدف إلى نزع الإنسانية عن العدو بالاستهتار به وكراهيته والاستعلاء الإسرائيلي عليه [٤٩].

هكذا يبدو في كتابات غاليلا رون فيدر - عميت وعاموس بار ومناحيم تلمي وأفنير كرميلي وشراغا غافني وأون ساريغ وحاييم أليئاف وغيرهم [٥٠].

في الختام لا تتوفر إلى الآن براهين قائمة على أبحاث تجريبية تؤكد مدى تأثير أدب الأطفال، مع وجود تأثير ماكن لا يمكن فصله عن عوامل أخرى ذات تأثير [٥١].

مع ذلك، كلما كان مستوى الكتب هابطاً أكثر فإن مستوى التوجيه إلى العسكرة، والكتابة المقولبة ونزع الإنسانية والحقد والكراهية، يكون أكثر حضوراً في هذه الكتب

وتؤثر سلباً على مواقف قرائها دون أن يملكوا القدرة على النقد والتعامل مع «الآخر» على أنه الشرير الدائم – وهم يذوّتون جملاً ومقولات كالتالي :

«إننا نحب وطننا أكثر منهم . . . إنهم لا يوافقون قطعاً على تقبل وجودنا في بلادنا ، ويطمحون إلى القضاء علينا بكل الوسائل والطرق[٥٢] .

في معظم كتب الأطفال تظهر أقوال مثيرة للخوف والكراهية والعنف – لخلق شخصية نمطية سلبية للعربي فقط لكونه عربياً .

كشف أدير كوهن في دراسته عن تعابير سلبية عديدة عن العلاقة بين اليهود والعرب (٦١٪ من مجمل التعابير)[٥٣] .

الوصف	عدد الكتب
خوف	في ٨٦ كتاباً
مشاعر استعلاء	٨٥ كتاباً
احتقار	٦٦ كتاباً
تكبر	٦٢ كتاباً
تشكيك	٥٧ كتاباً
كراهية	٥١ كتاباً
اغتراب	٢٦ كتاباً

العهد القديم

«استمعوا ايها المصريون إلى نشيد شمشون.
إنه يبشر بنهاية الفلسطينيين، إستمعوا جيداً
إلى البندقية والقنبلة، أغنية الموت للمقاتلين الغزاة»

(اوري أفنيري - «أغاني شمشون»)

في كتاب «في أعقاب ثورة الحشمونائيم – يركز الكاتب تسفي ايلان على التمرد الذي قام به الحشمونائيون عام ١٦٧ ق.م[١]..

في معظم فصول الكتاب هناك وصف للمعارك التي خاضها متتياهو وأبناؤه وتمجيد لشخصياتهم المقاتلة.

وفي أجيال لاحقة تطلق أسماء هؤلاء المكابيين؟ على الأبناء اليهود، مع أن هؤلاء المكابين كانوا كهنة متطرفين، وتسببوا في سفك الكثير من الدم :

«ولد ماتي في اليوم الأول لعيد الحانوكا، وللتذكير بالعيد اطلق عليه أهله اسم الشخص الذي أعلن ثورة الحشمونائيين... وهو متتياهو، أب الأسرة الحشمونائية»[٢].

قادهم تعصبهم الديني إلى اعمال وحشية لا مثيل لها ويمكن وصفها اليوم «بالمحاكمات

الميدانية» أو «أعمال **اللينش**».

«قام أحد الرجال بأمر من الملك لتقديم ذبيحة، وعندما اعتلى المنصة استل متتياهو سيفه وبَقَرَهُ بضربة واحدة. وأفرغ الجمهور الهائج غضبه على رجال الملك»[٣].

في «حروبهم المقدسة» لم يرحم الحشمونائيون المواطنين الأبرياء وقد قتلوهم دون رحمة.

«وهجم يهودا على إحدى المدن المحصنة بالأسوار والمأهولة بخليط من الشعوب واسمها كسفين، واقتحموا الأسوار واحتلوا المدينة بعون الله، وقتلوا عدداً لا يعد ولا يحصى من الناس حتى امتلأت البحيرة القريبة (بحيرة طبريا) بالدم» [٤].

المقاتلون المتعصبون والوحشيون – المتطرفون دينياً، والحروب الدينية والقتل دون تفرقة، قتل غير اليهود ولكن اليهود أيضاً، كل ذلك يجري الحديث عنه في معظم فصول الكتاب.

نشر يعقوب حورغين كتباً عدّة عن حروب اليهود ضد الرومان، كتابه «المعتصبون الشباب» هو الأبرز في هذا الموضوع[٥]، إنه رواية تاريخية غنية بالأوصاف العسكرية عن «الثورة الكبرى» معظم الأسماء رمزية وترمز إلى قياديين عسكريين معروفين. مهمة «المتعصبين الشبان» هي التجسس على الرومان وجمع المعلومات لتقديمها إلى المقاتلين ولكنهم شاركوا فعلياً في المعارك ضد الرومان. يمجّد حورغين هؤلاء الشبان والثوار بنزع الصفات الإنسانية عن «الآخرين»:

«الناس أيضاً يطمعون بعملنا ليسلبوه دون عناء ولقب. انهم من الرعاع الذين قدموا من وديان موءاب وصحاري سورية وفي قلوبهم مؤامرات الغزو والسلب [٦].

الشبان الذين كانت مهماتهم التعلّم والعمل في شؤون البيت، يتهيئون للقتال ضد الرومان ويتسلحون لقتل العدو:

«عندها انضموا إلى صفوف الثوار الذين تمردوا على الحكم الروماني... جمع صادوق كل هؤلاء الشبان في مجموعة واحدة أطلق عليها اسم «المتعصبون الشبان»[٧]

«وقف الشبان مع أسلحتهم على أهبة الاستعداد... سوف أساعدكم على إنقاذ البلاد من ايدي الرومان...»[٨].

لقد ملكوا أسلحة متنوعة، لكنها أقل وأدنى من أسلحة الرومان ولكن شجاعتهم وإصرارهم كانا الأقوى :

«لقد واجهنا هنا مجموعات من الشبان اليهود الذين قدموا راكبين أو- مشياً على الأقدام - وكأن هؤلاء (الرومان) يحملون الأسلحة وأولئك (اليهود) يحملون البلطات والمناجل [٩] ».

«جميعهم كانوا مسلحين. . . منهم من حمل القوس والسهم. . . منهم من حمل البلطة والخنجر، ومنهم من حمل السيف. . . [١٠].

«المتعصبون الشبان» يكرسون حياتهم ووجودهم للحرب، والموت لا يردعهم ولا قتل الآخرين :

«من منكم سيتطوع الليلة للقيام بعملية؟ . . . أنا . . . أنا ارتفعت مئات الأصوات. . . وارتفعت جميع الأيدي دفعة واحدة [١١]». إنهم يمتلكون جميع الأسلحة، ويبدو أن حياتهم كلها كرّست للتدريب العسكري : احضروا لي السلاح : القوس والسهم والسكين والحبل [١٢]»

كل من أثيرت حوله الشكوك أنه يريد السلام، ويعارض الحرب والقتل وعلى استعداد للمصالحة، فرضت عليه مقاطعة وأبعد بأمر من «المتعصبين الشباب» :

«لم يكن القائد راضياً. بدا له وكأنه واحد من دعاة السلام - واحد من اليهود الذين يريدون الخنوع للرومان وعدم محاربتهم لئلا تكون نهاية الشعب والبلاد سيئة»[١٣]

«انتشرت شائعات عديدة حول سلوك حاكم الجليل يوسف بن متتياهو، قيل عنه انه يتهرب من الحرب الحاسمة ضد الرومان، وأنه يجري معهم مفاوضات لتوقيع اتفاق سلام وخنوع»[١٤].

إن شخصية المتعصب الشاب تظهر عسكرية بكل ما للكلمة من معنى : «هذا الشاب الهادئ والبطل الذي يحمل السلاح ويعتمر قبعة حمراء، يبدو بمظهر البطل [١٥]. . . . »

في كتابه الثاني «أورشليم في النار»[١٦] يُعيد يعقوب حورغين إبراز العناصر العسكرية بشكل مكثف في الحرب ضد الرومان، لا رحمة ولا غفران ولا قوانين حرب -«بل تأثير وانتقام» :

«دم الجرشيين (أهالي جرش) صار يغلي ولا يبرده سوى الثأر – فاستلت السيوف من مخابئها .

صكصكة السلاح والصراخ والشتائم خيمت على المكان وبعد نصف ساعة خيّم الصمت : سقط القائد وجنوده على الأرض مضرجين بالدماء . . . »[١٧] .

أما شمعون بارغيورا ومقاتلوه فإنهم يذكرون كمقاتلين يهود متعصبين يرفضون المساومة ويقتلون دفاعاً عن كرامتهم – وهم يتقدمون للقتال ضد الرومان باعتزاز ومرح وشماتة لسقوط أعدائهم :

«كان النصر كاملاً، مفاجئاً، وقد قضي على الكتيبة بشكل تام، ومن اليهود لم يصب أحد، وكانت الفضيحة كبيرة، فعاد المنتصرون إلى بيوتهم يغنون ويرقصون»[١٨] .

وهنا أيضاً يبدو القائد، رجلاً عسكرياً قاسياً : **«هكذا اكتسب شمعون شخصية رجل مقاتل وعنيف في خيال الغرباء سكان شرقي الأردن وبعض اليهود، ولكنه في نظر بقية اليهود اكتسب شخصية البطل القومي[١٩]» .**

في الجزء الثاني، يبدو القائد أيضاً من دعاة الحرب، ويشكك في إخوانه اليهود المتمردين . وقد تصادمت مجموعات من المقاتلين وذبحت بعضها بعضاً :

«قيدّوني ! قيدوني بسرعة قبل أن يراق دم الأشقاء . دمي يغلي، فلا أستطيع أن أرى الغرباء (شمعون بارغيورا ورجاله) في قلب القلعة (متسادا) إذا أطلقت يداي فلن امنعها من الإمساك بالسيف وضربهم، قيدوني يا أيها اليهود»[٢٠] .

هكذا قال قائد السيكريك ، أليعزر بن يئير في متسادا بعد أن قتل اليهود في عين جدي وقبل أن يقود أبناء شعبه إلى الانتحار الجماعي .

المقاتلون المتعصبون يهملون عائلاتهم وزوجاتهم بسبب تقديس الحرب :

«أذوب شوقاً إليك! لن أتمكن من العيش، لن أتمكن . . . لن أتمكن . . . أقسم لك، أيتها الزوجة، لن أمنح نفسي الراحة والحب ما دامت قدم غريبة تلطخ بلادنا، عودي أيتها المرأة إلى بيتك وانتظري الفرج . . . وإذا سقطت أورشليم؟ عندها لن أكون بحاجة إلى زوجة ولا إلى الحب[٢١]» . إن الحرب الأهلية مقدسة، وكل يمسك بعنق أخيه، والروح

العسكرية هي المسيطرة :

لتطلق كل حنجرة : يعيش بار سوسينا، ملك إسرائيل والعالم.

أنت كاذب ولست ملكاً.

لقد شتم كل معارضيه وهدد بحرقهم، بينما هم لم يتمردوا عليه، بل على الله [٢٢]»

يكتب شراغا غافني أيضاً عن «ثورة المتعصبين»[٢٣]، ويقوم غافني بمسخ شخصية العدو دون أن يترك فيه أية صفة إنسانية :

«إنهم أحقر الشعوب - في محبة الغير ورحمة الغير ومساعدة الغير، وقد تفوقوا على جميع الشعوب بالشر والجريمة وحب الحرب والرغبة في قمع الشعوب الأخرى والسيطرة عليها»[٢٤].

وبالمقابل - هكذا يصور المقاتلين اليهود :

«وأما اليهود فإنهم يقاتلون بشكل ليس له مثيل في مقاتلة الرومان. إنهم يهجمون عليهم كالنمور الجائعة»[٢٥]. أما ليئور عيشت فإنه يستعيد في كتابه «ثورة بار كوخبا» موتيفات من العجرفة والاستعلاء ونزع الإنسانية عن «الآخر» والاعتماد على القوة وتشجيع الحرب البائسة التي أوقعت الكارثة بالشعب [٢٦].

«أولاً لا أعتقد أن رومانيا يمكن أن يحبنا، قال شمعون (بارغيورا) بصوت جهوري وغضب، وأضاف: نحن لسنا بحاجة إلى محبة الرومان، تعالوا لنعيش بدون محبتهم!»[٢٧].

إن عقلية «شعب يعيش لوحده» و. . . . «يعيش على حرابه» تردُ بشكل دائم في صفحات الكتاب : **«حتى لو أن هذا الشعب سحق حتى النهاية - فسأجد فيه قوى جديدة! وأنت يا يوءاف - أنت واحد ممن اخترتهم. . . ومثلك سأجد الالاف! [٢٨].**

إن الايمان بالثورة العسكرية التي لا فائدة منها واللجوء إلى الحلول العسكرية ضد الرومان، دون الأخذ بالحسبان نتائجها الهدامة، هذا الايمان يورد في جميع فصول الكتاب :

«يا ليت هذه الأيدي (أيدي شمعون بارغيورا) تقبض الليلة على حنجرة روما كلها - وخنقها كما يخنق الدب فريسته! ولكن هذا الحكم سوف يتحقق. . . سوف يأتي اليوم المنشود»[٢٩].

الثورة التي كتب لها الفشل قبل نشوبها وقعت بسبب التعصب الأعمى :

«بدأت تسمع أصوات تقول أن الثورة فقط سوف تنقذ الأمة . . . الحاخام عكيبا، والحاخام الفذ والعبقري . . عرف في داخله أن الثورة ستفشل»[٣٠] .

وهكذا يصوّر المقاتل اليهودي :

«في كل قرية وضعت بعض الجنود الذين يعرفون كيف يقطعون الرؤوس عن المناكب بضربة سيف وكيف يخنقون العدو بأيديهم العارية»[٣١]

وأما الواقعة الأخيرة في «بيتار»، فهكذا توصف في كتب الأطفال :

«أنتشر الدم في كل مكان، الدم والموت. بعض الجثث كانت ما زالت تتحرك . . . ألالاف من أبنائها بيعوا كعبيد، وقتل مئات الالاف، أفرغت البلاد من سكانها اليهود . . . وفي كل يوم نزلت المصائب . . . [٣٢]» .

العهد الحديث :

«في ليل الحادي عشر من آذار قال رجل قبل موته :
يطيب الموت – سنموت فرحين لأجل أرضنا في الجليل» . . . .
(أنده عمير، ليلة الحادي عشر من آذار)

أدب الأطفال في العهد الحديث، وبالذات ما يتناول حروب إسرائيل، هو في معظم الأحيان تقليدي ويدعم الأساطير الإسرائيلية الصهيونية – مثلما تظهر في أدب الكبار.

هكذا هو الأدب الذي يصوّر الصراع ضد البريطانيين وحروب إسرائيل التي نشبت بعد قيام اسرائيل.

فترة الانتداب :

الكاتب ل. شاؤول يصف في كتابه «الخزي للكتاب الأبيض»[1]، الحرب الأهلية التي وقعت بين المنظمات الصهيونية (الايتسل والليحي) وبين القوات الإسرائيلية (الهاغاناه) وضلوع شبان مستوطنة عبرية في عمليات الهاغاناه ضد البريطانيين. هكذا يكتب :

«يعترف رفاقنا بسيادة المؤسسات العليا . . . العديد من أبنائنا لم يسلّموا بذلك . ولكنهم - الايتسل والليحي - لا يعترفون بهذه السيادة . . . إنهم كما تراهم، لا يتحملون المسؤولية ولا يقبلون الانضباط . . . على الأقلية أن تقبل قرار الأكثرية - وإلاّ فستسود الفوضى [٢]» .

أما يسرائيل ليرمان الذي ألّف عدداً من الكتب للأطفال والفتيان عن حروب إسرائيل، فيكتب في كتابه :

«المجموعة تضرب ثانية»[٣] عن حملات الهجرة عشية إقامة اسرائيل (١٩٣٧ - ١٩٤٧) التي نظمها رجال الكوماندو البحري في بداياته، ويقول عن أعمال الايتسل :

«رجال الايتسل ألقوا من سيارة الشحن التي كانوا يركبونها، قنبلة عند مدخل مصافي تكرير البترول (بحيفا) فقتل عدد من العمال العرب»[٤] .

كذلك اورئيل أوفك الكاتب والباحث في أدب الأطفال، نشر العديد من الكتب التي تتناول حروب إسرائيل . وفي كتابه :

«رجال المدرّعات مقبلون»[٥]، يعبّر عن توجّه إستعلائي ومتبجح :

«صحيح إنني أعرف أننا لا نملك الكثير من السلاح، ولكن كل مقاتل منا يساوي عشرة منهم»[٦] . في وصفه لأعمال الهاغاناه في مستوطنات منطقة يهودا وعندما اشتدت الاضطرابات، يلجأ الكاتب إلى استعمال اوصاف تنزع الإنسانية عن «الآخر» البريطاني :

«في الليل تتحرك مصفحاتهم كالنمور التي تنقض على فريستها»[٧] .

الجيش والحروب توصف كأنها مغامرات وليست امراً منبوذاً :

«إنني أحسدكم - أنت وجدي وأصدقاءكم على المغامرات الرائعة التي قمتم بها! مغامرات؟ ربما! ولكن الآن لدينا جيش قوي ورائع . إن جنودنا أيضاً يقومون بمغامرات لا تقل إثارة»[٨] .

وفي كتابه «الطريق إلى الكلية»[٩]، يجعل أوفك بطل قصته طالباً في الصف العاشر - هو ميخا . الذي يسكن في حارة بوروخوف ويحسد أخاه الأكبر منه الذي يخدم في الهاغاناه هكذا يصف أوفك الإرهاب العسكري الذي مارسته العصابات :

«ألم تسمع عن سرقة البنك! وإطلاق النار؟ قتل شرطي وجرح اثنان جراحاً بالغة .

كلهم من الإنكليز. أغلقوا المنطقة وصاروا يبحثون عن السارقين (الليحي). سرق ١٢ ألف جنيه و. . . [١٠]».

القتل والسرقة منع التجول والاعتقالات - هكذا توصف لاحقاً :

«سارق البنك؟ ليس سارقاً، بل هو إرهابي. واحد من المنشقين. إنهم ليسوا زعراناً يركضون خلف المال. إنهم يسطون على البنوك في المدينة ويسرقون الأموال»[١١].

«هذه الجريمة النكراء، تشكل خطراً على المستوطنات وقد تنزل عليها كارثة. . . فقد سفكوا الدماء وسرقوا الأموال التي وفرها الناس وبسببهم فرض منع التجول على المحطة المركزية [١٢].

«لا، لم يفكر أبداً إنها هي أيضاً تنتمي إلى الايتسل، هذه المنظمة التي تسرق البنوك وتقتل الجنود وأفراد الشرطة البريطانيين [١٣]».

الكاتب معوز حبيب، في كتابه : «أفراد اللاسلكي الشباب [١٤]»، يصف الواقع في القرية أثناء الانتداب البريطاني. أبطال كتابه هم : زوديك إبن الثامنة الذي يحسد اخاه الكبير ويقلده - باروخ، وهو من قوات «البلماح» وكذلك بيودكا، طفل في سن زوديك، رئيس المجموعة.

الكاتب موشي بيلغ - في كتابه «المقاتلون الشباب في عملية بيت شان»[١٥]، يصف الأعمال التي قام بها شبان من عين حارود يقلدون عمليات «كتائب الليل »التي شكلها فينغيت (الصديق) أثناء احداث ١٩٣٦ - ١٩٣٩.

يخرج الأطفال من الجدار ويقومون بتمارين إرهابية : «قرر عوفر الأشقر وتامي وزئيف التسلل إلى المدينة (جنين) دون معرفة رجال «كتائب الليل»، كان يدفعهم عاملان : الأول : إثبات قدراتهم وشجاعتهم، والثاني : رغبة في زعزعة المعسكر العربي، فبواسطة التسلل إلى قلب المنطقة العربية - أرادوا أن يثبتوا للعدو أن المقاتلين البريين قادرون على الوصول إلى قلب المنطقة العربية»[١٦].

يتمتع القائد العسكري «فينغيت» بقدرة تأثير على الأولاد أكبر من قدرة ذويهم، والأولاد ينفذون أوامر قاداتهم العسكريين ولا يكترثون بقلق الأهل.

«خرج عوفر وتامي وزئيف لتنفيذ مهمة سرية كلفهم بها «الصديق»، فينغيت. لم يتمكن أهلهم من ردعهم – فقد أقنعهم فينغيت بنفسه بأهمية القيام بهذه المهمة ولم يكن أمامهم خيار آخر، فالشبان كانوا سيذهبون دون موافقتهم (الأهالي) [١٧].

لم يكن الأولاد مقاتلين فقط، بل قضاة ايضاً، يصدرون أحكاماً ميدانية ضد العرب، وكانت أحكامهم تقر سلفاً :

«سنقيم محكمة ميدانية – هكذا اقترح عوفر. أحدُنا يكون القاضي والثاني المحامي والثالث المدّعي العام»[١٨].

«والقضاة» يعيدون الأحكام :

«أطلب من المحكمة إصدار حكم الإعدام بحقهم. فليس هذا العقاب هو لأنهم يستحقونه كونهم إرتكبوا أعمالاً شنيعة – بل لتحذير زملائهم وردعهم»[١٩].

إنهم أيضاً يجدون التبريرات لأطفالهم ولا مجال للإستئناف على الحكم :

«أنا واثق لو فينغيت كان هنا، لكان أيد قراري بإصدار الإعدام. الحكم سينفذ رمياً بالرصاص. أطلقوا النار! هكذا أمر عوفر..

كانت الاصابات مباشرة، العربيان أعادا روحيهما الملطختين بالخطيئة إلى ربهما»[٢٠].

ثلاثة أولاد يشكلون السلطات الثلاث : التشريعية، القضائية، والتنفيذية. كذلك إنهم يتلقون الدعم من القائد العسكري : «عندما سمع (فينغيت) التفاصيل عن المحاكمة العسكرية التي أجروها ضد اثنين من رجال العصابة، شعر فينغيت بالاعتزاز والعز. وقد اعتبر قرار عوفر عادلاً ولا ريبة فيه. «حسناً فعلتم»، قال فينغيت.

«حتى إنه لا يوجد شهود على المحكمة. أنا أعتز بكم إنهم ليسوا بحاجة إلى محاكمة، فأن كل رجل عصابة عربي يستحق حكم الإعدام.

ولكنكم أثبتم في هذه المحكمة نضوجاً عالياً وأخلاقاً سامية. وقد قدّمتم نموذجاً رائعاً لكل الشبيبة العبرية»[٢١].

أفنير كرميلي، هو أحد الكتاب الأكثر انتشاراً بين الأولاد في إسرائيل وخاصةً أولئك الذين يحبون المغامرات، كتب سلسلة من ١٤ كتاباً بعنوان «البحارة». في كتبه أيضاً هناك نصوص ورموز للعسكرة ونزع الصفة الإنسانية عن «الآخر»، البريطانيين والعرب.

البريطانيون والعرب يصوّرون، أغبياء وبلداء، بينما «الصبار» الشباب هم دائماً الأبطال الشجعان المنتصرون دائماً. وهم أيضا يتمتعون بصفات النبوّة وقراءة المستقبل وبقدرة على الخلاص من كل ورطة، وهم يضحون بأنفسهم دون أي تردد ولا حدود، أذكياء وصارمون.

في كتابه «البحارة في عملية غرزين (البلطة)»[٢٢] هكذا يصف كرميلي العرب:

«هؤلاء العرب كانوا أناساً جهلة، تربوا طول حياتهم على حب المال والقوة[٢٣].

وأما «البحارة» اليهود في المقابل، فهم: «تربوا على المحافظة على السلاح والتضحية من أجل المحافظة عليه وقت الحاجة[٢٤].

وفي كتابه: «البحارة في عملية ماحتس (الضربة الساحقة)»[٢٥]، فهو يصف بكثير من الإعتزاز عمليات إختطاف وقتل وحشي قامت بها عصابات يهودية ضد ضباط بريطانيين، دون أي تأنيب ضمير:

«نظر إلى جثتي الشرطيين البريطانيين، اللتين أخرجتا من السيارة... كان رأساهما محطمين، ولكنني واثق إنهما لم يحّطما بسبب السقوط، بل بأيدي اليهود الذين اختطفوا الكولونيل»[٢٦].

«ما أطيب الموت من أجل بلادنا»- هذا القول ليوسف ترومبلدور - ١٩٢٠ - يتكرر أيضاً في «البحارة»:

«الوطن بالنسبة له كان أغلى من الحياة، ومن أجله كان على استعداد للتضحية بكل شيء، وتحمل كل شيء.[٢٧]

في القطعة التالية تصوير لروح الصراع بين «الييشوف» و «الهاغاناه» وبين المنظمات

المنشقة :

«أنت تريد أن نصبح مثلكم، ونهجم على قراكم؟ هذه هي نظريتكم الحقيرة، نظرية كتائب البحارة. انتم تؤمنون فقط بالقوة الفاحشة وتحتقرون العدالة، انتم أعداء الشعب»[٢٨].

وفي القطعة التالية أيضاً تعبير عن الصراع بين التيارات المتنازعة في أوساط العصابات الصهيونية :

«لقد ارتكبت عملاً رهيباً - اخرج من جيبه قنبلة، واعدها لتنفجر في كف يده. وإذا حاولت أنت أو صديقك منعي فإنني سأطلق القنبلة وسننفجر جميعاً»[٢٩].

حـــرب ٤٨:

يغئال موسينزون هو أكثر الكتاب انتشاراً بين الأطفال وقد كتب ثلاثين كتاباً في سلسلة «حسمبا»(مجموعة سرية تامة تماماً) وقد تناول في كتبه الأولى عهد الانتداب ولكن معظم كتبه تناولت الحرب والصراعات في أثناء حرب ٤٨ وما تلاها.

أجيال عديدة نشأت مع أبطال كتبه - وقد حوّل البعض منها إلى أفلام ومسرحيات. في معظم الأحيان يصوّر العرب بشكل سلبي - هم دائماً قبيحون متوحشون سمناء لهم كروش لا يحلقون ذقونهم وثيابهم رثة. ومن الصفات التي تتكرر في كتبه :

«أغبياء، فوضويون، أبناء الشيطان، قتلة، سُفلاء، جبناء، خدّاعون، وكذابون».

في كتابه الأول «حسمبا، او مجموعة سرية تامة تماماً»[٣٠]، هناك التزام بأن يضحي أطفال في الثانية عشرة بحياتهم إذا اقتضت الحاجة : «أقسم اليمين اخلاصاً لمجموعة سرية تامة تماماً ولشعب إسرائيل، في الحياة وفي الموت»[٣١].

في كتابه الثاني «حسمبا في بيت الممنوعين»[٣٢]، هناك تعهّد دون أي قيد أو شرط لمجموعة الشبان بمحاربة الانتداب والجنود البريطانيين :

«يجب أن نقاتل! يجب أن نقاتل في كل الظروف وكل الأحوال. أرض إسرائيل لنا،

وليس للإنكليز ما يفعلونه هنا، علينا أن نحرر بلادنا»[٣٣].

يضع موسينزون على لسان أبطاله كلمات ومصطلحات هي موضع جدل مثل : «التحرير» من الانتداب الذي قررته هيئة دولية «عصبة الأمم» لمنع سفك الدماء بين اليهود والعرب، «وأرض إسرائيل» أيضاً مصطلح جغرافي غير محدد وهناك تجاهل لقرار «التقسيم» وفكرة الدولة.

أولاد حسمبا يتصرفون بالقانون على هواهم ويصدرون الحكم ضد ضابط بريطاني : «جاك سميث متهم بالتواجد في أرض إسرائيل دون أي حق قانوني»[٣٤].

وما هي التهمة الموجهة إليه؟

«تواجد المتهم في جادة روتشيلد في تل- أبيب وفي حوزته مسدس [٣٥]».

وفي كتابه «حسمبا في كمين على الحدود»[٣٦] يشارك الأطفال في كمائن على حدود إسرائيل لمساعدة الجيش وهم يخاطرون بحياتهم. ويقومون بذلك مستهترين ومحتقرين من ليس على شاكلتهم :

«نعم وقد ندفع حياتنا ثمناً لذلك. ولكن لا مناص - هل تفهمين؟ تمار : شبابنا يقضون أوقاتهم في المدارس وقاعات الرياضية والرقص وهم ينسون أنه على بعد مسافة قصيرة عن تل - أبيب يقتل أناس على الحدود في كل ليلة [٣٧].

وهنا أيضاً تعتبر عمليات عسكرية خطيرة مغامرة وولدنة : «مغامرات عظيمة. . . الآن ذاهب إلى كمين على الحدود»[٣٨]. أولاد حسمبا جاهزون للقيام بكل عملية، (هل وافق الجيش على العملية؟ د. ي) :

«اعرف أين سيضعون الألغام هذه الليلة، مجموعة حسمبا ستنطلق. . . وإذا كانت هناك حاجة لمساعدة من قوات الجيش فستتواجد في المنطقة [٣٩].

وفي كتابه «حسمبا في معارك شوارع غزة»[٤٠]. يأخذ أولاد حسمبا على عاتقهم مسؤوليات قومية في تبرير أخلاقية أعمالهم مستقبلاً :

«قال يارون : تنمية الزهور؟ أنا أيضاً على استعداد لأن أقوم بذلك. ولكن، هناك جيل يجب أن يقاتل لكي يستمتع الجيل الذي يليه بالزهور والهدوء والطمأنينة. . . ليس

أمامنا أي خيار.

وقالت تمار بحزن: «سيأتي يوم ولن يفهم الناس أبناء جيلنا، لن يفهموا لماذا كان يجب أن تنشب حرب لحل المشاكل ولماذا كان يجب قتل أناس...

فأجابها يارون بهدوء وثقة بالنفس: لكي يصبح بالإمكان تنمية الزهور[٤١]».

يكتب موسينزون عن تعامل نائب حاكم غزة العسكري عن أبناء شعبه ما يلي: «لا يهمه القتلى والجرحى، كان ينظر إلى الناس وكأنهم مكعبات صغيرة في لعبة الدومينو أو الشطرنج[٤٢]».

تصف الكاتبة باتيا كوخاف في كتابها «قمباز عبد القادر»[٤٣] بشاعة الحرب - ونتائجها بشكل نادر الوجود في أدب الأطفال:

«كان رهيباً رؤية المعسكرين هاربين الواحد من وجه الآخر. وخلف القرية العربية الصغيرة المحاذية بيتنا، سمع صراخ الأطفال والنساء العرب، الذين هربوا أيضاً. صراخهم ملأ الفضاء، وتحوّل كل شيء إلى حالة من الرعب المريع. هذه الحالة التي لا يسببها للإنسان إلاّ الموت والحرب»[٤٤].

وفي وصف رهيب نادر آخر تكتب المؤلفة: «لن أنسى منظراً رهيباً»، امرأة عربية حملت طفلاً بين يديها، أصابتها رصاصة في صدرها، سقطت تتضرج بدمها وهي تفرفر على الأرض. ومرة أخرى، وهي تفرفر للمرة الأخيرة حاولت الوقوف ومواصلة الهرب ولكنها انهارت وسقطت على الأرض. لم أجرؤ على مواصلة النظر إليها، طأطأت رأسي لكي لا أشاهدها، ولكنني عندما رفعت رأسي رأيت مرة أخرى منظرها المريب. استلقت على الأرض دون حراك. شعرها تناثر على التراب وبزّ ثدياها من فتحة فستانها، بكى الطفل دون توقف، ولما رأى أن أمه لا تأخذه إلى حضنها مد يده بشكل تلقائي إلى ثديها وحشر حلمتها في فمه وصار يرضع نقاط الحليب الدافئ الأخير في ثديها. من حوله استمر إطلاق الرصاص وضجيج الهاربين وصرخات الخوف، وظلت تدوي إلى البعيد.

للحظة اختفت الحدود بين المعسكرات الهاربة، رأيت أناساً كثيرين مرعوبين وهم يركضون حاملين أغراضهم بأيديهم وأطفالاً صغاراً حفاة وعراة يتبعونهم، والنساء

العربيات من القرية المجاورة اللواتي كن يأتين مع طلابهن ليملأوا الماء من ساحتنا»[٤٥] .

وهكذا يصف المعارك يهودا سلوى في كتابه : «نار على الجبل»[٤٦] المعارك التي جرت في كريات عنقيم على جبال القدس، بشكل ينزع صفة الإنسانية عن العدو : «لم يكن باستطاعتي تسليمك لهؤلاء الناس! إنهم لا يأخذون الأسرى ولا يعالجون الجرحى - إنهم حيوانات مفترسة»[٤٧]

إن كل المصائب سببها أولئك الناس الذين لا يريدون أن يعملوا، بل يستغلون ويخدعون إخوانهم . إنهم يثيرون الكراهية بين الشعوب ويسببون الحروب وسفك الدم»[٤٨] .

أما الكاتب يسرائيل فايسلر (بوتشو) فيصف في كتبه بأسلوب تراثي وساخر الأعمال التي قام بها قوات «البلماح» في حرب ٤٨ . في كتابه «أنا جبان أنا»[٤٩] ، يكتب عن قتل الحيوانات - ما يلي :

«موسى - رجل نحيف راح يركض في المنحدر خلف حمار رمادي - خرج من أحد الكهوف، أطلق عليه رصاصة فسقط على الأرض دون حراك»[٥٠] .

«نفس الحصان» قلت وقبل أن يجيب امسك الرشاش وأطلق الرصاص»[٥١] .

ويكتب عن العنف والكراهية والقتل والجريمة :

«وهكذا فإن هذا هو سر النظام . حركة خفيفة بالإصبع فيدب الفزع بالناس»[٥٢] .

«الرغبة في القتل دبّت في نفس عوز ونحشه وأكثر منها غداليا الذي ارتفع صراخه : أضربوا! أضربوا . إنه ينزل أضربوا، أصيبوه! هل هناك متعة في الحياة مثل هذه المتعة الإلهية؟ ماذا سأمنح مقابل كل عربوش أقتله؟ [٥٣] .

وفي كتابه «هذه الزمرة»[٥٤] هناك وصف لغباء الحارس العربي : «بهذه الدجاجة سنرشي غداً حارس الجسر العربي»[٥٤] .

ويكتب في موقع آخر :

«أعرب يوسينيو عن اعتقاده أن عملية ثأر سوف تنفذ ضد القرية المجاورة، التي ترعى ماشيتها على أرض المستوطنة - ولا شك أن دماً سوف يسفك [٥٦]»

وفي كتابه «يا يوسلي كيف حدث ذلك؟»[٥٧]، هكذا يصوّر العربي :

«نشأت في بيئة يهودية خالصة، وقد عرفت العربي مما سمعته من أهلي . . .
«هل العرب طيبون أم أشرار؟» سألت .
«لا يوجد عرب طيبون»، قال بحزم : «كلهم أشرار» .

حرب سيناء والعمليات الانتقامية خلف الحدود :

موطا غور (مردخاي غور - كان جنرالاً وقائداً للأركان ثم وزيرا، وله كتب، قصص للأطفال بطلتها «الكلبة عازيت - المترجم) يصف الفترة العاصفة الممتدة ما بين ١٩٤٨ - ١٩٦٧، في كتابه : «عازيت الكلبة في سلاح المظلات»[٦٠] بأنها فترة «عمليات الثأر» والعمليات العسكرية خلف حدود الدولة، إنه لا يرى أي خطيئة في تجاوز الحدود والطيران فوق اراضي العدو بحثاً عن زوجين هما حيمي وروتي :

«نظر اوري إلى الخارطة وإلى المنطقة، وقال : «حسناً، اعرف إننا على الحدود، ولاشك أننا في هذه المنعطفات سنقطع أحياناً حدود الأردن» .

«حسناً» قلت : «لا مناص، يجب أن نحاول، هيا نغوص»[٦١] .

هذه العمليات التي كان موطا غور أحد قادتها تحظى بشرعية مطلقة دون أي تردد أو نقد :

«لم تكتف وحدات الجيش بالدفاع عن المستوطنات وعندما قطعت الحدود أنزلت ضربات قاسية على قواعد المتسللين ومعسكرات الجيش التي ساندتهم ووجهتهم في عملياتهم»[٦٢] .

هذه المواقف ترد في معظم فصول الكتاب : «الهجوم على معسكر مصري في صحراء سيناء»[٦٣] . «خرج جنود الجيش لضرب مخربين (وكذلك مواطنين) على أراضيهم في شرق الأردن وكانت عازيت تقف على رأسهم . . .»[٦٤] .

بعض عمليات اختراق الحدود كانت تأخذ طابع المغامرة :

«الشجعان الذين انطلقوا في طريقهم الصعبة إلى القمم المغطاة بالثلوج، عادوا وحدثوا عما شاهدوه وقد تمنى الجميع أن يأتي اليوم الذين يتسلقون فيه إلى هناك»[٦٥] .

ومرة أخرى، تستمر العمليات في أراضي العدو :

«هذا المساء ستخرج وحدة من مقاتلينا إلى ما وراء الحدود السورية وستمكث هناك عدة أيام»[٦٦] .

حرب حزيران :

تصف الكاتبة دفوره عومر مغامرات أبطالها الثلاثة : عمري، جاكي، ورامي في كتابها «عمري في صيف ١٩٦٧»[٦٧]، وتتحدث عن الحرب كتجربة وجدانية لا يمكن التنازل عنها : «شكراً لك!» انتصبت طالي وأضافت : خفت أن نخسر الحرب . . . »

«لا تقلقي أيتها الطفلة»، قال أحدهم . . . في منطقتنا لم يخسر أي جيل هذه التجربة [٦٨]

وفي ما يلي تبجح بسقوط العدو :

«سلاح الجو هو شعلة من النار . . . إنه يعرف كيف يصغي! لا يواجهه (طيران العدو) إنهم يهربون أمامه باسرع من سرعة الصوت . . .

الله يرحم سلاح الجو المصري[٦٩] .

وهذه هي الأغنية التي انتشرت بعد حرب حزيران :

«ناصر ينتظر رابين، أي، أي، أي!

لينتظر ولا يتحرك

لأننا قادمون مائة بالمائة

لأننا جئنا مائة بالمائة»[٧٠]

وفي نهاية الكتاب – هكذا تكتب عن «الآخر» :

إنهم يكرهوننا، يكرهون كل اليهود»[٧١]

أما الكاتب بنيامين هليفي، فيتحدث عن «المتسللين» عشية حرب حزيران في كتابه «اوري وعيران»[٧٢] – أبطاله طفلان من كيبوتس في منطقة وادي الأردن : اوري ابن السابعة – وعيران ابن الخامسة . يصف كميناً لمتسللين هدفهم سرقة الخيل، وهدف الكمين قتل العرب بلا رحمة :

«لا يجوز إطلاق النار دون إذن مني، ضعوا الرصاص على بيت النار، وعندما تتلقون الأوامر، أطلقوا النار على الخيل والرجال، بدون شطارة . . . [٧٣]

«الباقون، واحد من كل جهة، يقفون موجهين سلاحهم إلى من يهرب، إذا لم ننجح في إيقافهم»[٧٤].

لتعذيب الأسرى (متسللون وسارقو الخيل) هناك قوى كافية :

«اقترب مني الضابط وهمس في أذني : هل تريد أن نساعدك في استنطاقهم؟ لدي شبان سيسرهم الاهتمام بهم»[٧٥]

الكاتبة غاليلا رون فيدر – عميت هي من أغزر كتاب أدب الأطفال، ومنذ ثلاثين عاماً وهي تكتب عن مراحل مختلفة – من أيام الانتدب وحتى حروب إسرائيل الأخيرة.

في أحد كتبها الأولى تصف مجموعة أطفال تنظم إلى منظمة «الليحي» في كفاحها ضد البريطانيين – دون ادراك قادة المنظمة، اسم الكتاب : «الأخيرة في أعماق الكهف»[٧٦].

«الفكرة هي تنظيم مجموعة تساند المقاتلين في حربهم ضد البريطانيين – دون أن يعرفوا من الذي يساعدهم»[٧٧].

الأطفال – المقاتلون يذهبون فرحين إلى المعركة :

«هذه المرّة لن نضيّع الفرصة، هذه المرة سنتبعهم إلى ساحة المعركة. أنا واثق أننا سنجد فرصة لمساعدتهم»[٧٨]

في كتابها «برفيل ٩٧ : قصة لفيون كوهن»[٧٩] تصف النمو العقلي لطفل – فتى وجندي من بيت شان. هذا الطفل ينشأ على قيم عسكرية يرى فيها مستقبله :

«عندما جئت إلى القدس من بيت شان (بيان) أمضيت فترة كنت أقرأ فيها كل الكتب التي كتبت عن حرب حزيران، ثم رافقت أوري في جولة على المواقع.. العسكرية... ربما أن هذا ما جعلني انضم إلى سلاح المظليين... إنهم رجال شجعان بحيث أن معتمري القبعات الحمراء (المظليين) فقط يمكنهم أن يتمتعوا بهذه الشجاعة [٨٠]»

وتواصل رون فيدر – عميت وصف نشأة هذا الطفل :

«أبي ينتمي إلى جيل لم يشارك في حرب سيناء... أولئك الذين نشأوا على قصص «حرب التحرير»، (حرب ١٩٤٨)، لقد استمروا بالتزام لأن يصبحوا أبطالاً. لقد اعجبوا بجنود الوحدة ١٠١. لقد سردوا مرة أخرى قصة يهودا كين درور في المتلة[٨١].

في كتابها «يوميات حرب خاصة : طفل من أورشليم في حرب التحرير»[٨٢] تصف الكاتبة منظمة «المدافعين عن الوطن» المؤلفة من ثلاثة أطفال في الثانية عشرة من أعمارهم - يوئيل فيشر (القائد)، جابي بنيتو - عوديد ليفين (كاتب اليوميات) وفيما بعد ينضم يوحنان منيش (مسؤول الاتصال)، هذا الكتاب أيضاً مشبع بالأقوال العسكرية التي تفضل الحرب على المحبة والانصياع للأهل وتحث على القيام بمهمات عسكرية خطيرة جداً : يقول أطفال في الثانية عشرة :

«تقدموا إلى السلاح أيها الشبان»، إننا نستهتر بالعرب». . . . و «لكن نحن ضد البريطانيين»[٨٣].

وكتبت عن العلاقة بين الوطن والأهل : «أنا أعرف أن الوطن أهم من الأهل، وإذا ناداني الوطن - فيجب أن أذهب[٨٤].

والله مقابل الأهل :

«لقد بعثنا الله لننقذ الوطن وأما أنت فتحدث عن أمك»[٨٥]

وما هو دور «المدافعين عن الوطن» في الحرب؟

«خطرت في بالي فكرة جهنمية! خطر ببالي أن نعرض أنفسنا بدور حاملي المتفجرات. . . فكرت أن أقترح على رجال «حرس الشعب» أن يبلغوا المسؤولين عنهم أن أربعة أولاد على استعداد لأن ينقلوا بحقائبهم متفجرات إلى مواقع عربية. نحن ننقل المواد المتفجرة إلى الموقع، وشخص آخر يعمل على تفجيرها»[٨٦]

في كتابها «أطفال خط التماس»[٨٧] تتحدث الكاتبة عن أربعة أطفال في الرابعة عشرة يعيشون في حي حدودي جنوبي القدس، «جبل المكبر» وهم : يائير تابور، ياعيل شمعوني (صديقته)، دوتان بن عامي (الراوي) وصديقته حين كوهن. يقتل يائير في أثناء الركض بضربة سكين، ويشكل موته دافعاً لأقوال تحريضية دموية على مدى صفحات الكتاب مثل «الموت للعرب». ليس هناك خلفية لمقتل يائير ولا أي تفسير للصراع الدموي في القدس. بين الحين والحين يُسمع القول المستهتر : «العرب لا يخافون، اليهود فقط يصابون ويخافون».

«الموت لكل العرب!»رفع أمنون يده

«أسمع ما سأقوله لك، هذه هي الطريق! الموت»[٨٨]

«الموت للعرب»- صرخ أحدهم بصوت جمهوري. «الموت للعرب» ارتفعت الأصوات من كل جهة»(٨٩) الهدف الوحيد في حياة دوتان هو الثأر لمقتل يائير حتى وإن كان لا يعرف من هو قاتله: «الآن أصبح واضحاً إنني سأنتقم لمقتل يائير، وإلاّ فليس هناك أي سبب لمواصلة العيش هنا»[٩٠]

لكن ليست فقط أخذ الثأر - بل التنكيل بالعرب:

- «الهدف المركزي ثقب إطارات السيارات، وحرقها. كسر الشباك وإلقاء الشعلة فيها...[٩١]. العرب بطبيعتهم يثيرون الاضطرابات (حسب الكتاب) إنهم يولدون قتلة»:

- كل ما فعله الشرطي إنه جلس هناك... لكي لا يختبئ عرب آخرون خلف المقاعد ويقتلوا يهوداً آخرين مثلما قتلوا يائير»[٩٢]

في السنوات الأخيرة كتبت المؤلفة مجموعة كتب بعنوان: «نفق الزمن»- وفي كل كتاب تذكر القارئ بأحداث مهمة وقعت في تاريخ الدولة اليهودية: أورشليم المحاصرة، «السور والبرج»- تل حاي - الهجرة - توحيد القدس، عملية موشي (هجرة اليهود الأثيوبيين) - كتائب النار، عملية عنتيبة، البلماح، احتلال أم رشرش (أيلات)، المحكوم عليهم بالإعدام، الحارس الأول «والسبت الأسود»، وفي هذه الخلطة تبرز عناصر التوجيه العسكري وغياب أي نقد لهذه الأحداث.

في كتاب: «نفق الظمن - أورشليم المحاصرة»[٩٣]. يظهر العرب كمشاغبين وقتلة:

«قام العرب الذين لم يلبسوا اللباس العسكري، باضطراب طول الوقت» وكان على العرب الذين يلبسون اللباس العسكري أن يطلقوا الرصاص في الهواء، لئلا يقوم العرب الذين لا يلبسون اللباس العسكري بقتل اليهود الذين استسلموا ولا يحرقوا أغراضهم»[٩٤]

وفي كتابها «نفق الزمن - الحارس الأول»(٩٥)يصل أبطال الكتاب الأطفال الثلاثة: شارون، سنير، وياريـن، عبر «نفق الزمن» إلى الشيخ إبراهيم ليحدثهم عن طفولته وبطولاته المبالغة:

«هل نسيت أنك كنت طفلاً؟ من الذي تصدّى للرعاة العرب، بعد أن انسحب الرجال من بيتاح تكفا؟

من الذي حاربهم وحده؟ ومن الذي حظي برعاية زعيم قبيلتنا؟»[٩٦].

خلفية هذه القصة هي مستوطنة بيتاح- تكفا (ملبس) تحت الحكم العثماني والشيخ إبراهيم هو حارس المستوطنات أبراهام شبيرا. وهم يقومون سوية بجولة في المستوطنات بعد سرقة أبقار (بيتاح - تكفا) وعندما يشاهدون القطيع يكون الرد:

«صوّب سليمان مسدسه نحو أحد اللصوص، كان رجلاً قصيراً وسميناً وغطى رأسه بالكوفية، أطلق سليمان رصاصة فسقط الرجل وهو يصرخ بصوتٍ عالٍ[٩٧] في ما بعد جاءت عملية الانتقام الجماعي:

«من اليوم وصاعداً، لا يجوز لكم القدوم إلى اللد والرملة ويافا، وإذا جئتم فسننتقم منكم لن نترك لكم أي جمل»[٩٨].

هكذا يصور العربي في القصة:

«تبين لي سريعاً أن اللصوص هم شقيقان حكم عليهما بالسجن في القدس بتهمة القتل... أحدهم يكرهكم ويكرهنا ويكره كل الناس»[٩٩].

وهكذا يصور اليهودي:

«هذا الفتى أبراهام شبيرا (١٨٩٨) بقي صامداً وحده في وجه الجميع. كان وحيداً وهم كثر! كان طفلاً حمل عصا بيده وهم كانوا يحملون البواريد والخناجر، واضح أنه لم تكن أمامه أية إمكانية للنجاة، فقد كسرَّ عصاه وأطلق أحدهم الرصاص عليه فأصابه في ذراعه»[١٠٠].

«كان اليهودي الأول الذي أثبت أننا نحن أيضاً نستطيع أن نكون شجعاناً ونركب الخيل وندافع عن أملاكنا»[١٠١]

«كان حازماً... أثبت للعرب أن دم اليهودي ليس مباحاً.. وأن اليهود قادرون على أن يكونوا مقاتلين شجعاناً»[١٠٢].

حرب الغفران (أكتوبر) :

« انظري إلى أعلى يا طفلتي ،
إلى الجبل - الذي كان مسخاً .
ما زالت المدافع هناك ، على الجبل يا طفلتي
ولكنها تهدد دمشق . . . . »

(يوئاف كاتس، «هل تبكين أم تضحكين؟»)

أما أوروئيل أوفك الذي كنا قد تعرفنا على كتبه عن الانتداب البريطاني ، فقد كتب في كتابه «دخان غطى الجولان»[١٠٣] ، عن حرب الغفران (أكتوبر ١٩٧٣) والقصة تحكي عن عائلة تنتقل للعيش في هضبة الجولان ، في مستوطنة «نيثوت هجولان»- بطلها الطفل ايتان ابن العاشرة والنصف .

هواية ايتان هي القيام برحلة إلى موقع عسكري وقضاء الوقت فيه : «أنا أيضاً احببت زيارة الجنود في المعسكر ، خاصة في أيام السبت ، كلهم عرفوني ولم يطلبوا مني إذناً يسمح لي بدخول الموقع . في الأيام الجميلة ، كنت أذهب إلى الخندق ماشياً «مسافة أربعين دقيقة»[١٠٤] .

كعادته يذهب إلى الخندق على الحدود في أثناء القصف ليساعد الجنود المرابطين هناك .

«ذهبت دون أن أتوقف للحظة . في بعض الأحيان أمر بجانب شاحنة مشتعلة أو دبابة معطلة ، واصلت السير بسرعة وحاولت ألاّ أفكر بشيء ، إلاّ كيفية الوصول بأقصى سرعة إلى الخندق . . . »[١٠٥] .

ايتان وحده في الخندق أثناء القصف :

«ها أنا أدخل إلى ساحة الخندق . . . أدخل لأشاهد كيف تغير الموقع في حرب الغفران . . السياج محطّم . . . الساحة فارغة . . . الدبابات اختفت . . . انسحبت من هنا» . إيتان وجندي جريح ينسحبان ، وهو يحمل سلاحاً : «خذ أنت أيضاً رشاشاً . . . سيكون لك صديقاً جديداً ، هل تعرف كيف يستعمل؟ بيد راجفة رفعت الرشاش . . . »[١٠٧] .

أدب الكبار...

«. . . . سنذكر الجميع
الشعر الجميل والطهارة
لأن صداقة كهذه
لن تسمح لقلبينا أن ينسيا
حب مقدس بالدم
وأنت تعودين لتزدهري بيتاً»

(حاييم غوري، «الصداقة»)

مدخـــل :

أعد البروفسور دان شيفطن بحثاً عن علاقة اليهود في «أرض إسرائيل» مع العرب في دولة إسرائيل[1]، وكشف البحث أن ٨٠٪ من الذين شملهم البحث هم ضد العرب في إسرائيل، بينهم ٦٥٪ بتطرف و ١٠٪ بتردد وفقط ٢٠٪ يقبلونهم كمواطنين متساوي الحقوق مع اليهود.

هذا الوضع الذي تعمق منذ حرب الغفران وحرب لبنان والانتفاضة لا بد أن ينعكس في الأدب، إن عسكرة حياتنا ونزع الإنسانية عن الآخر وتبرير الحروب (نحن أخلاقيون أكثر وحضاريون أكثر والحروب كانت دائماً عادلة ولا مناص منها وغير ذلك)، إلى جانب

محاولات قليلة وجريئة للتفكير والتشكيك بأعمالنا، يمكن القول أن التطوّر التاريخي الأدبي لتعاملنا مع العرب وأنفسنا يواكب ويلائم التيارات في الواقع.

في الفترة ما بين الحربين العالميتين ومنذ مقتل الكاتب يوسف برنير العام ١٩٢١ وحتى بداية أدب البلماح في الأربعينيات، يصوّر الكتاب في أدبهم نزعة تتراوح بين الرومانسية (العربي «بري أصيل» أو «يهودي قديم») وبين التذمر والتشكيك وبداية نزعة عسكرية، من جهة يحسدون ابن البلاد ومن جهة أخرى - ينافسونه على المكان[٢].

الكاتب شموئيل عجنون، الذي لم يكتب الكثير عن الصراع القومي، ولا عن التغيرات التي طرأت علينا بسببه، يذكر في كتابه «شيرا» منظمة «عصبة السلام»[٣] التي ينتمي إليها بطل روايته. . يسخر عجنون من المواقف الأممية والتعايش ثنائي القومية ويؤكد على أهمية المصير اليهودي[٤] أما يعقوب شتاينبرغ فقد سبق اكتساب أ. ب يهوشواع وعاموس عوز ويورام كنيوك وبنيامين تموز وآخرين في نظرته إلى الصراع بعيون «موضوعية» وإخلاقية وذلك في كتابه «الحاج من صفتي با»، في هذه المزرعة التي تقع قرب الخضيرة سكنت مجموعة من العمال الطلائعين على أرض كانت قرية عربية، وفي صفتي با بقي حارس هو حاج عربي عجوز من سكان القرية رفض مغادرة المكان.

هكذا تنتهي القصة :

«عرفت أنه (الحاج) يريد مثلي الاستيلاء على الوطن. كنت أضايقه في كل ليلة، ملأت الفضاء حنيناً وهو ظل صامداً، ها هو يهرب وطيفه يحلق محفوفاً بالبخار، ها هو يظهر منحنياً على المنحدر، يبدو أنه ينزل إلى أرض سفلى»[٥].

هذه القصة الرمزية تصور عمق المشكلة : فقد نشأ شعوران متماثلان بالنسبة للوطن الذي يتمسك به الطرفان. الاثنان يحاولان الارتباط بالوطن وحين يستحيل ذلك تتوتر العلاقات «فيتوقف الإبداع حين يلعلع الرصاص.

إن جل اهتمامنا هو بعرض عملية العسكرة في الأدب، من عشية قيام الدولة وحتى أيامنا هذه»[٦]. في هذه المرحلة، يشبع الأدب بالنصوص والتعابير والرموز العسكرية كلما نشبت الحروب. حتى أن الكتاب الذين يصورون «معاناتهم»، يحرجون ويتحدثون بلغة مزدوجة

بسبب لا أخلاقية مجتمعنا (س . يزهار، عاموس عوز، أ . ب يهوشواع، بنيامين تموز، يورام كنيوك، دان بن اموتس وغيرهم).

في رواياته : «خربة خزعة» و «الأسير» و «أيام تصغلاغ»، يظهر س . يزهار الوجه الأخلاقي في سلوكنا . في عهده «يتحول العربي إلى مشكلة اليهودي الأخلاقية» . وهكذا يكتب في «أيام تصغلاغ» :

«يا شر هذا العالم ألا يكفي؟ من أسأل؟ إن وطني ينظر إليّ صديقي، رجالي، كلهم ينظرون إلي : أقتل جيداً - أيها الابن العزيز، أقتل ملء يديك، أقتل كل شيء جميل أعطيناك إياه، أقتل لنا العديد لنحظى في نهاية الأمر بعالم جميل وهادئ . . . وسأقتل! سأقتل قتلاً!» .

وينهي يزهار - روايته بالجملة التي ترافقنا في جميع حروبنا :

«التلّة لنا، والحقول والفضاء، والبلاد، انتهينا؟ ويعترف يزهار مثل زملائه بالحقيقة :

«هنا عاش أناس ومن الصعب التسليم بواقع أدى إلى اختفائهم» .

ويقول في موقع آخر :

«ماذا نفعل في هذا المكان؟»

ثم نسأل :

«أولئك الذين سيسكنون في هذه القرية - ألن تصرخ الجدران في آذانهم؟ وتلك المشاهد والصرخات التي انطلقت أو تنطلق والقطيع المرعوب واستسلام الضعفاء وبطولاتهم - بطولة الضعفاء الوحيدة وهي انهم لا يعرفون كيف يتعرفون ولا يقدرون على فعل أي شيء- ضعفاء، صامتون ألن يحتل الفضاء ظلال وأصوات ونظرات؟ أحسست بسقوط رهيب» .

وهكذا أيضاً في روايته «الأسير» التي هي حساب للنفس يقوم به جندي شاب يسبب له سلوكه حرجاً شديداً ومع ذلك فهو يشعر بعجز أمام املاءات ضميره [٧] .

أما الكاتب بنيامين تموز فهو يعرض المشاكل الأخلاقية بصورة أحرّ في قصته «سباق في السباحة»(نشرت العام ١٩٥١) :

«نحن كنا المهزومين أخلاقياً» لأننا قتلنا الأسير، لم نقدر على المواجهة الأخلاقية للحرب ونتائجها»[٨] كذلك الكاتب اسحق اورباز كان حساساً وواعياً لمشكلة الصراع القومي، ففي قصصه: «الحدود»، «الحرق من أجل الحرق»، «النمل»، «درجة ضيقة»، يتعامل مع العربي باستعلاء وينزع عنه صفة الإنسانية ويصوره بشكل مقولب ويخلد حالة الحرب ويضحي بالفرد من أجل الجماعة ويسترخص الموت ويعسكر حياتنا»[٩].

أما عاموس عوز فإنه يصور صراع الشعوب المتخاصمة على هذه الأرض بواسطة شخصيات فردية، هكذا في قصصه! «الرحّل والأفعى»، «مكان آخر»، والأكثر من ذلك في «ميخائيلي»، حيث يصف فيها التوأمين العربيين - خليل وعزيز، في بيئتهما «الطبيعية» أي العربية، وقد تغيرت حال هذه البيئة بقدوم المستوطن اليهودي، إن بطلة الرواية حنان غونين، تنشد إلى التوأمين ولكنها في الوقت نفسه تخاف منهما. هذا هو الانجذاب المعقد لسكان البلاد العرب الأصليين وفي الوقت نفسه مواصلة الحرب ضدهم[١٠].

إحدى اهم القصص التي تتناول الصراع القومي، والتي كتبها أ. ب يهوشواع هي قصة «إزاء الغابات»، فالطالب، هو حارس الغابة، «الكيرن كيميت الإسرائيلي» هذه الغابة التي غرست على انقاض القرية العربية المهجرة.

ليس الحارس العربي فقط معني بحرق الغابة «الصهيونية» كذلك الطالب اليهودي يفضل أن تحترق وهو مثل الجنود في الجيش يريد «فقط العودة إلى البيت بسلام»[١١]

هكذا يستنطق أ. ب يهوشواع الشيخ العربي الأخرس: «هو يريد أن يقول إن هذا هو بيته، وقد كانت هنا قرية وقد دفنت تحت هذه الغابة الكبيرة، ما الذي يغضب هذا الشيخ إلى هذه الدرجة؟ يبدو أن نساءه قتلن هنا. إنه مجرد أمر تافه...»

«على مسافة قريبة سنجد السلاح دائماً - جميع العمال في إسرائيل هم جنود أيضاً (»في داخل إسرائيل«)، «الحراس يدافعون عن العمال في وجه المشاغبين العرب: الهجوم قد يكون مباغتاً»، (في أرض إسرائيل).

كتب وكتّاب

«دمنا نهر وشلال
عهدنا : الثأر .
أقسمنا أيها الأخوة
سلاحنا لن يعود خائباً
طوبى للذين يطلقون النار إلى الأمام
طوبى للذين يسقطون قربهم»

(يعقوب اورلاند، «أغنية الجندي»)

نحن جنود مجهولون بلا لباس عسكري
حولنا الرعب والظلام .
كلنا جنّدنا مدى الحياة
ولن يفرقنا سوى الموت . . .

(أبراهام شيرن، «يائيلر»، جنود مجهولون)

فترة الانتداب :

أحد الكتب البارزة التي تصوّر الصراع ضد العرب في فترة الانتداب، هو كتاب اليميني المتطرف اسحق شاليف، وعنوانه : «قضية غابريئيل تيروش [١]»

فهو يصف صورة المعلم في ساعات النهار وفي ساعات الليل يتحوّل إلى قائد عسكري، يبدو أن هذه هي شخصية أبراهام تهومي الذي انشق عن «الهاغاناه »وأقام منظمة «الأرغون ب»، وواحد من مؤسسي «الايتسل»، أو ربما أنه يجسد شخصية أبراهام شتيرن (يائير) قائد «الليحي» الذي عارض كل تعاون مع البريطانيين [٢].

غابريئيل تيروش هو معلم ذو شخصية قوية مختلف عن المعلمين المحافظين المسنين والمثيرين للضجر . .

انه يثير الحماس في طلابه للقيام بعمليات إرهابية سرية .

إنه «كتاب مقدس» بالنسبة للشبان والكبار أيضاً .

ويتحدث عن الفترة ما بين (١٩٣٦- ١٩٣٩) وأبطاله أربعة فتيان وصبية ومعهم معلمهم - وهم يتدربون على القتال في «حلقة ضيقة جداً» .

الكتاب مليء بالأجواء والنصوص والرموز والأقوال العسكرية المطلقة ببراءة الفتيان ومشاعر الحب (الصبية ومعلمها)، كرّس غابريئيل جل حياته للنضال المسلّح إلى أن تقاعد عن العمل في التعليم وفرض على نفسه «حياة ليس فيها متسّع للحب بين رجل وامرأة»[٣] .

«قام غابريئيل بالتدريبات على طول الخط الشمالي - الشرقي لجبل المكبر المزدحم بالسكان العرب ومعسكرات الجيش» . . . . [٤]

أي أن المعلم يأخذ طلابه في الليالي إلى الحدود (منطقة العيساوية) وهو يخاطر بحياتهم . كذلك انه يزرع في قلوبهم الحقد والكراهية ضد المواطنين الفلسطينيين العرب : «هنا بيت العربي وهو لن يخليه إلاّ إذا انتزع منه واقتلع تماماً . . . اذكروا إن الفلاح في الشرق الأوسط قد يتحول إلى صلاح الدين»[٥] .

المعلم لا يؤمن بالتعايش والجوار الحسن مع الجيران العرب :

«انك تتحدث عن الوضع وكأن الصدام واقع لا محالة. نعم، هكذا هو الوضع. إن من يحاول أن يرسم لكم مستقبلاً من التجاور الحسن مع العرب، وسلاماً وطمأنينة وانتعاشاً اقتصادياً، فهو يضللكم. . . إن الشعبين سينشغلان فقط بقضية واحدة: من سيحكم البلاد، وسينشغلون ليس حول موائد مستديرة بل ميدانياً بأنيابهم وأظافرهم»[٦]. .

يجب احتلال كل أرض إسرائيل وسوريا والعراق حدود «أرض الميعاد»:

«من هنا دونم ومن هناك دونم، هذا لا يعني كل البلاد. إن الاحتلال الحقيقي النهائي سيتم بدون اتفاقيات ولا شراء. . . فبعد تحويل الكواشين ستكون الواقعة الحقيقية[٧]. هذه الأرض كلها لنا. . هذه القرية مخماس ما هي إلاّ قريتنا مخماش، وهناك قرى كثيرة، كلها لنا، حتى دمشق ونهر الفرات»[٨].

هل تريد أن تحقق أهدافنا بقوة السلاح!

أجاب غابريئيل: بكل جوارحي وعاطفتي[٩].

يأخذ غابريئيل تيروش تلاميذه إلى قرية عربية:

«في تلك الليلة قمنا بتمرين أطلق عليه المعلم اسم: زيارة ضيوف بدون دعوة صاحبي البيت. توجهنا إلى إحدى القرى العربية القريبة من المدينة واخترنا بيتاً معزولاً على طرف القرية ودخلنا إلى ساحته. . . [١٠]

«إنك تفهم المصطلح «حياة القتال» بشكل ضيق جداً. في حياة القتال هناك حاجة ليس فقط لمن يسحب السلاح. . . قد يجد لك مهمة في معارك كثيرة خارج الميدان. . . [١١]»

يتحمس الطلاب للقتال ويتحول استعمال السلاح (غير المرخص) في أيديهم إلى شيء من العبادة والتقديس وحتى مؤشرات جنسية:

«بأصابع جائعة أمسكنا السلاح الذي يعتبر اليوم صغيراً وخفيفاً، ولكن في تلك الأيام، اعتبر في نظرنا أداة تدمير عظيمة يستطيع من يمسك بها أن يدمّر بلاداً بأسرها، وها نحن قد صرنا رجالاً عندما سحبنا السلاح للمرة الأولى من مخبئه ورفعناه إلى الأمام. . . شعرنا بمتعة عندما ضغط الحديد على سيقاننا، وعندما تدربنا على تعبئة المسدس، ثم إفراغه، ثم

تعبئته، حتى تحوّل في نظرنا إلى طقس قبل تصويبه إلى الهدف. .إنه شيء قريب من القلب كما في الصلاة. . . السرية التي غلفت عملنا كما تجلت في الحراسة والصمت، أصبحت مثل أسرار الحب - هذا الحب الذي بدأنا نفهم أسراره. . [١٢]

الحرب ذاتها تشبه «بالحرب المقدسة» وهدفها الأساسي - هو الإرهاب :

«الهجوم الفجائي الموفق، معادلته دائماً متساوية، إلقاء القنابل وإطلاق الرصاص. القنابل وحدها من شأنها أن تقضي على العدو وإذا نجا أحدهم فإنه على الغالب شخص اصيب بصدمة يتحول إلى هدف سهل للرصاصات التي تصيبه فيما بعد [١٣]. . .

«مجموعات هجومية وتفجيرية يجب أن تتحرك في الليل إلى مواقع العصابات العربية في المدن والقرى وضربها ضربة قاضية ومثيرة للرعب. . . »[١٤]

«في المستقبل سوف نطلق إلى الجبال قطيعاً من الذئاب الصغيرة التي سترعب بعويلها رؤساء العصابات في لفتا وكولونيا[١٥] .

يلجأ المربي غابريئيل تيروش إلى أمثلة من التوراة لكي يفسر الروح العسكرية وأعمال الإرهاب :

«الملك داوود، كان يبتعد كثيراً عن الدم عندما أحضر معه هدية متواضعة عبارة عن مائتي رأس فلسطيني، أو عندما أمر المؤابين بالاستلقاء؟ ومد حبلاً واحداً للحياة وحبلين للموت. . . [١٦]

هكذا يقنع غابريئيل تيروش تلاميذه بعدم السكوت على «أعمال العرب»(سياسة اتبعتها الهاغاناه أحياناً لتظهر رباطة جاش أمام الرأي العام ولتخطط لضربات مدروسة - المترجم) :

«الإمكانية الثانية هي العمل خارج «الهاغاناه»، وليس بروح السكوت. . . [١٧] من الآن وصاعداً، سوف نقوم بعمليات صغيرة، خلافاً لموقف الاستيطان (الييشوف) الذين نقوم بالحرب دفاعاً عنه. . . [١٨]»

الصبية المنتمية إلى المجموعة هي الوحيدة التي تبدي امتعاضاً من هذه الروح العسكرية، هذا العدوان والقتل ولكنها لا تنسحب من المجموعة :

«ربما لأنني فتاة - فقد سئمت هذه الأفكار. . . القتل، وكيف ينفذ، وكيف ننجو من

الموت، وكأنه لا يوجد في هذا العالم سوى قتلى وقتلة[١٩]»

أعضاء «الحلقة المختصرة جدا» يتقبلون أعمال معلمهم الإرهابية ولا يكشفون عنها لأصدقائهم وأهلهم والمؤسسات «والهاغاناه».

«لم نسأله من أين احضر المسدسات والذخيرة التي وزعها علينا في إحدى الأمسيات. . . [٢٠]

الطلاب مقتنعون بما يقومون به، بعد أن تعرضوا لعملية غسل دماغ وتوجيه حربي - أنهم على استعداد للقيام بابشع الأعمال، بالنسبة لهم، كل «الوسائل مباحة» والهدف يبرر الواسطة:

«والآن لنتحدث عن الأمر الأهم، الأمر الذي من أجله أعدنا غابريئيل، لقد خرجنا مع الفجر للافتراس، لنفترس من يريدون افتراسنا»[٢١]

«علينا أن نقطع الأيدي. . . حتى وأن جلبت عمليات القطع إلى العالم صوراً مريبة لأعضاء مقطوعة معلقة. .[٢٢]»

بعد مقتل رفيقهم آيا واختفاء معلمهم، قائدهم العسكري، يتعلم الطلاب من تجربتهم القاسية، أن هناك ضرورة لموصلة الطريق:

«من الآن وصاعداً، علينا أن نربي عشرات الألوف من الشبان والشابات، تربية ميدانية، هدفها الانتصار في المعركة. وليس تلك التربية الانهزامية التي يتلقونها اليوم، فقبل أن يمسكوا السلاح، يربونهم على مقولة: «وحولوا سيوفهم مناجل، وعاش الذئب والنعجة. . .»[٢٣].

حرب ٤٨ :

«الوجبة الأولى هي البندقية
التي أحببتها، مع رصاصات الموت
سنعد لك وجبة مع رصاصات الموت
سنعد لك وجبة .
الوجبة الثانية هي القنبلة
التي أحببتها مع شظايا الموت
سنعد لك وجبة مع شظايا الموت
سنعد لك وجبة . . . .»

(حاييم حيفر، على جبهة حارة هتكفا (الأمل))

هناك نصوص وتعابير وأقوال عسكرة كثيرة عن حروب التحرير القديمة المذكورة في الكتب الدينية أو غير الدينية اليهودية .

سنقدم في البداية نموذجاً من حرب التحرير التي اعتبرت عصرية في ذلك الوقت، خلفية مقتل عذلياهو بسبب محاولته الوصول إلى اتفاق مع البابليين لإنقاذ ما تبقى من لاجئين بعد خراب الهيكل الأول .

أيد القتلة إسماعيل بن نتانيا وطالبوا باستقلال مسبتي . هذه الحرب وصفت في كتاب حاييم حايموف «تم القتل وأفرغت البلاد»[١] .

في خطاباتهم أكدوا على أن طريقهم هي طريق التضحية وأنهم على استعداد لأن يقدموا التضحيات – لكن ليس منهم بل من الآخرين، لأنهم هم يعرفون الطريق ويحملون المشاعل لقيادة الشعب من أجل التحرر من الطوق الذي يخيف الشعب[٢] .

فجأة شاهدت جثة عذلياهو الكبيرة، كانت ملقاة كتمثال من الرخام الوردي – الأبيض، مغطاة بالزهور الحمراء بأحجام مختلفة . لقد قتلوا عذلياهو بن احيطام، أنفاسي تحولت إلى

جنيات . . . [٣]

كل ذلك بعد الثورة الفاشلة التي قام بها الملك تصادكياهو ، آخر الملوك من عائلة داوود - وأدت إلى خراب أورشليم وحرق الهيكل [٤] .

يمثل الشاعر والكاتب حاييم غوري جيل حرب أل-٤٨ إلى جانب س . يزهار وموشي شمير ، وفي كتبهم يصفون أحداث الحرب وأجواءها وفيها فيروس نزع الإنسانية ، والوحشية العسكرية التي تحدث في الحرب [٥]

هكذا يصف حاييم غوري احتلال بئر السبع :

«بئر السبع . . . بلدة العدو ممددّة . . . عيناها من زجاج . . . والخنجر في جسدها . . . تنزف دماً . . . شاحبة . . . تحتضر . . . طفل . . . مصري . . مصري . . . مصري . . . امرأة . . . مصري . . . مصري . . . مصري . . . عاصفة الحرب تحصد أولئك المنتصبين أمام الرصاص . . . الحرب شبح عدائي لا يعرف الرحمة . . . وربما أن نشوة النصر تشتد لتقطف الأبرياء . . . [٦] وفيما يلي تعبير آخر عن هذه الروح العسكرية وأوصاف سوداوية لنتائج الحرب :

«لقد غزوا بلادك وسلخوا مساحات واسعة من الأرض . قالوا : تحركوا إلى الأمام ، هجموا على مدينتك ومعهم الدمار . سيغتصبون أخواتك ويعذبون أمك ، سيحولون بيوتك وقصورك إلى حظائر لخيولهم وكلابهم المصرية . أولئك المصابون بالزهري والجذام سيقتحمونك ويقتحمون كل ما تملك - ضباطهم سيسيرون مقهقهين في شوارعك ، وبعدهم سيأتي الاموريون؟ والسوريون وعصابات القاوقجي والبولونيون واليوغوسلافيون المرتزقة ، فالألمان الحقيرون - وسيمشي أمراء النفط على الردم ، أنهم كهنة الدم والذهب ، سيتجولون في الشوارع وسيمد لهم أطفالك أيديهم وهم عراة وجائعون وراجفون . . وهكذا سيعود عهد الظلام الدامس [٧] .

في كتابه «حتى طلوع الفجر» والذي صدر العام ١٩٥٠ وأعيدت طباعته العام ٢٠٠٠ ، سنقرأ جملاً وكلمات تعبّر عن استهتار واحتقار للعدو :

«خرج الثلاثة لضرب المصريين [٨] » ، فبقى على أسرى وبقايا عدو أكواماً أكواماً [٩] . خلافاً

للأساطير التي روّجت حول عدم الحصول على غنائم في الحرب عام ١٩٤٨ [١٠]، فإن حاييم غوري يتحدث عن غنائم كثيرة : «الخناجر، المسدسات، آلات التصوير، ربطات العنق، الرسائل، الصورة الشخصية، صورة امرأة مع طفل، القرآن، فرشاة حلاقة، عطور، معاطف، قطع قماش، صار الرجال (الجنود) يبحثون عنها بين الغنائم»[١١].

ويضيف في فقرة أخرى :

«تجمع قطيع من الغنم على مقربة منا، قادت القطيع طفلة صغيرة في حوالي التاسعة من عمرها، اقترح أحدهم أن نأخذ بعض الغنمات زوّادة للطريق. . . انتشر القطيع مرعوباً إلى كل صوب وهربت الطفلة يعقبها ما تبقى من القطيع. عاد الغزاة مع غنائمهم والسرور يرتسم على وجوههم [١٢].

ويكتب حاييم غوري عن جرائم الحرب :

«لقد وقعت في حرب الاستقلال، لمزيد من الأسف والخجل، أعمال سرقة ونهب املاك غائبين، وإصابة أبرياء، وقتل أسرى حرب»[١٣]

تظهر التوجهات العسكرية أيضاً في الرؤية التوسعية الإقليمية واحتلالا، فحاييم غوري، عضو حزب «المباي» هو تلميذ مؤسسي «حلقة النشطاء» في الحزب أمثال اسحق طابنكين، ويسرائيل غاليلي ويغئال ألون.

يقتبس حاييم غوري وثيقة تأسيس كيبوتس معوز حاييم (منطقة بيسان) العام ١٩٣٧ :

«هذا البيت سيكون بوابة إلى جبال جلعاد. ستتلألأ الأنوار في مستوطنات عبرية على جبال الجلعاد والباشان وحوران ويهودا والسامرة وغور الأردن. وسوف يبني العامل بيته في عالم من الأخوة والحرية»[١٤].

ويكتب أيضاً :

«لم نعرف كيف نعيش مع بعض، في أكثر من مرة، استبدلنا الكرم بالصلف، والصرامة بالتعذيب والإهانة.

لم نعرف ما نقترح عليهم. لم نعرف كيف نعيش مع بعض ونفترق لكي نقيم شراكة أخرى [١٦]

س. يزهار (يزهار سميلنسكي) هو الكاتب الثاني في هذه الثلاثية وهو يوصف بكتاباته

المناهضة للعسكرة وأوصافه الإنسانية ونقده للجرائم والخطايا التي ارتكبت في الحرب، ومع ذلك فإنه ينطق أبطاله – مقاتليه بمصطلحات عسكرية كثيرة. أشهر قصصه هي «خربة خزعة»[١٧]، التي تدرّس في المدارس الثانوية كمادة لامتحانات البغروت وقد أثارت نقاشاً كبيراً. إنها قصة احتلال قرية فلسطينية بلا مقاتلين ومن بقي فيها المسنون النساء والأطفال. في القصة وردت هذه المصطلحات :

«احرقوا – فجروا – اعتقلوا – حمّلوا – اصرفوا. . . .»

«اجمعوا السكان من نقطة ما إلى نقطة ما. . . حمّلوهم على الشاحنات وانقلوهم خلف خطوطنا. فجروا بيوت الحجر واحرقوا البساتين. . . اعتقلوا الشبان المشبوهين، وطهروا المنطقة من القوات المعادية. . .»[١٨].

وهكذا يوصف العرب في الكتاب :

«دعك من هؤلاء العربوش. . . إنهم ليسوا بشراً[١٩]».

«كل أولئك القذرين وقراهم المبرغثة (مليئة بالبراغيث) القاحلة والخانقة»[٢٠].

ويتحدث عمّن بقي في القرية بما يلي :

«قال مويشي : عليك أن تختار، روحك أو الجمل. أطلق أرييه رصاصة فوق رأسه. . قال : مويشي، دعني أصفيه هنا. لماذا تريد أن تبقي على هذه الجيفة؟

عليهم أن يعرفوا أنهم لا يستطيعون اللعب معنا»[٢١].

«عجوزان شمطاوان، بفستانهما الزرقاوين ، ووشاحهما السوداوين، جلستا بلا حراك، انكمشتا مرعوبتين، كجنيتين انبعث منهما عفونة القبور المحفورة، شيء ما لا إنساني مثير للقرف.

قال شلومو : يجب قتلهما.

وقال أرييه : لمصلحتهما سأطلق عليهما رصاصة»[٢٢].

وهكذا يكتب عن معاملة الجنود بعد المعركة :

«أحياناً كنا نسكب السولر ونحرق ثياباً أو بوابة من خشب أو سطحاً من قش وننتظر كي نرى كيف تلتهمه النيران ... [٢٣] بالنسبة لي القتلى والدم وكل شيء، كأنه لا شيء ... [٢٤]

في الختام – هكذا يبرر الحرب ونتائجها :

«لم يطلب منهم أحد أن يبدأوا هذه الحروب . يعتقدون أنهم ملائكة . لقد سفك كثير من دمنا لأجلهم! فليأكلوا ما طبخوه لأنفسهم . [٢٥] .

في كتابه الثاني «الأسير»[٢٦]، يصف معاملة الأسير العربي على النحو التالي :

«هذا هو؟

هل أصفيه؟

دعني أصفيه [٢٧]!

«لم اعرف كيف انطلقت ركلة قدم سريعة، ومن مسافة قريبة، نزلت على الرجل الذي كنا نحقق معه، كان معصوب العين، ولم يهيأ لذلك – فصرخ مذهلاً ثم سقط على الطاولة [٢٨] .

«المرة تلو المرة كانت تنطلق ركلات سريعة، ركلات باردة ولا تصدر عن غضب ولكنها متقنة [٢٩]» .

«اذا اردت ان تسمع الحقيقة فاضرب! اضرب، فربما هناك حقائق لم يقلها ... اضافة إلى ذلك، فإن الاغيار معتادون على الضرب»[٣٠] .

في كتابه «أيام تصغلاغ»[٣١] يصف سميلانسكي بشكل شاعري ومفصل احتلال إحدى التلال . إنه يسخر من الدافع لاحتلال هذا التل المذكور في التوراة :

«قال نحوم : تل تصغلاغ، أو تل البطيخ ... إنه مكان خرافي . . »

«وقال برزيلاي : إذا كان فعلاً تصغلاغ ونحن نقاتل من أجل تصغلاغ، فهذا له معنى آخر» .

ولكن نحوم كان لا مبالياً وقال : ليس له أي معنى . ألا تعرف ماذا يعني تصغلاغ؟ الا تعرف حروب الملك داهود . ألا تعتقد أنه أمر جميل أن يقاتل اليهود في تصغلاغ الملك داهود؟ [٣٢]» .

كلمة «عربوش» وأوصاف مهنية أخرى للعرب ترد في كثير من صفحات الكتاب :

«قال ديفيد : أنه أمر مثير للغضب . لقد أفرغت مخزنين من الرصاص . كانوا ستة عربوش يركضون . لم أصب أحداً، الستة ظلوا سالمين، مائة رصاصة على ستة أهداف، ولم يصب أحد؟ . ليذهبوا إلى الجحيم . لقد هربوا مثل الكلاب . »[٣٤]

يا الله للبيت – للبيت – قذرون – جبناء – عربوشيم»[٣٥]

«ها هم هناك . . . هل نخاف منهم؟ ضحك! هؤلاء مثل الذباب والحشرات . . . وممكن القضاء عليهم بأن نبصق عليهم . . . هل ممكن أن يقتلنا هؤلاء القذرون! [٣٦].

في قصة أخرى بعنوان : «الاستقلال ٤٩-٩٢»[٣٧] يصف تشريد أهالي ميعار وحرق أملاكهم :

«بين الحين والحين كان المدفع الرشاش يطلق فوق رؤوسهم إشارات محقرة ورهيبة، ضربة سوط قوية [٣٨]»

«وفجأة ارتفع الدخان، فتبين أن أحد رجالنا أشعل البيدر عند التلة، ولم يكن واضحاً لماذا أشعل إلاّ للتعبير عن حق المنتصرين في أن يتصرفوا كما يحلو لهم . . . [٣٩].

في كتابه الذي يتناول حرب الغفران (١٩٧٣) يصف يزهار الذي انضم إلى القوات المقاتلة، ضمن وحدة من المحاضرين وبحثاً عن أخيه إلياهو، يصف أعمال النصب والقتل. اسم الكتاب «اكتشاف الياهو»[٤٠] – وفيه وردت هذه الأوصاف :

«أنهم يمشون بين الجثث . . . يوجهون ركلاتهم إلى فك القتيل بقوة، لكي تتطاير أسنان الذهب من فمه . . . إنهم يواصلون بمثابرة . . . ليفتشوا الجثث وينظروا أن كان هناك شيء يلمع في الفم، ويركلون . . . [٤١]

ما الذي جنيناه من هذه الحرب، إنها لم تكن ضرورة، لم تكن ضرورة وهذا أمر رهيب [٤٢].

«انظروا، إذا كان بالإمكان إنهاء الحرب بمفاوضات بين الأطراف، لماذا لم يكن بالإمكان منعها بمفاوضات بين الأطراف؟»[٤٣]

«قولوا لي، لماذا يجب التضحية بالأرواح، لماذا يدفعون الناس ليضحوا بأنفسهم؟ لماذا يدفع الناس للعب مع الموت – لماذا دفعوا إلى وادي القتل ليثبتوا أنهم قادرون على الخروج منه؟ أولئك الذين استطاعوا الخروج! إنه أمر فظيع، وليس هناك افظع منه! [٤٤]

موشي شمير الكاتب الثالث الذي ينتمي إلى جيل أدباء الـ٤٨، كتب عن الإسرائيلي «الصبار»، عن «إليك» «الذي ولد في البحر» و «سار في الحقول، عضو البلماح الذي يتدرج في كل مراحل الخدمة العسكرية. في كتابه «بيديه الاثنتين»(فصول أبيك) [٤٥] يقدم فصولاً

خاصة في أدب الحرب : «سبع سنوات»، «ليلة شارونه» و «الطريق إلى أورشليم [٤٦].

هكذا كتب عن الحرب :

«كان إطلاق الرصاص والهجوم بالقنابل أمراً محققاً. هذا الأمر الذي تمناه اليك طول حياته، وهو الأمر الأساس. . إطلاق الرصاص كان مثل مسابقة ليس فيها صداقة ولا إعياء»[٤٧]

وعن الاستهتار بالعدو وجنوده وقراه، كتب موشي شمير :

«حربة، ربما هي بئر وربما خان، كانت مهجورة على التل تلقت شظايا القنابل بعد الهجوم [٤٨].

«إذا لم يتواجد بريطانيون في المنطقة، أي إذا كان هناك خطر المصادمة معهم، فقد حصلنا على تصريح بأن نطلق النار من مختبرتك. . . ولكن بشرط أن يتم ذلك بسرعة البرق. . يعني أنني لو لم أحصل على تصريح لما فعلت ذلك. . . [٤٩] احتلال مناطق أخرى، لا شك فيه والشعور الوحيد الذي يسيطر على نفس المقاتل هو الكراهية».

«إنهم يعززون قواتهم الدفاعية على أراضيهم، ويطوّرون العمل، الإيمان بالحديد، في مثل هذه الساعات تتم العملية بشكل نظيف، دون تفجير ولا تمويه ولا رائحة. الإنسان يكون مقتنعاً ولا مجال للتردد.

ادراك الضرورة والهدف واضحان : كراهية القتلة»[٥٠].

أما زروبابل غلعاد، محرر «كتاب البلماح»، فيشوّه شخصية المقاتل العربي في قصته «٤٨ ساعة في ملكية»[٥١]

إذ يصف معركة قاسية هكذا يصوّر فيها العربي المقاتل :

«إنهم ليسوا أكثر من مقاتلين عرب لا يتحلون بالشجاعة، وإذا أصيب أحدهم، يهرب رفاقه، وإذا كانت البندقية بيدك وأنت تصوّب على العدو - فأنت الأقوى. وفي الواقع، هم أصيبوا وتكوموا قتلى أمامنا [٥٢]».

ويصف أوري أفنيري في كتابه : «غزو الحقول : ١٩٤٨»[٥٣]، بشكل تقرير مباشر من الميدان قصة جندي بسيط من وحدة «ثعالب شمشون» التابعة لكتيبة غبعاتي.

المعارك في الجنوب هي بالأساس على المفارق بهدف فتح الطرق إلى النقب المحاصر. وفي قصته يصوّر أفنيري عمليات القتل لأجل القتل التي كانت شائعة في حرب ٤٨:

«وصلنا إلى البيت الأخير. ركضت مع أفراد الفرقة، البندقية بيدي، أشعر أن عليّ أن أطلق النار، أرى جسماً يتحرك أمامي، كلب عربي يعدو هارباً. صوّبت البندقية وأطلقت النار إنه يتأوّه. أثارتني تأوهاته. ماذا فعلت؟ هل أصبحت حيواناً؟ شلومو الذي كان يركض خلفي صوّب بندقيته نحوه وأطلق رصاصة. انقطعت التأوهات [٥٤].

ويحوّل موشي شمير الرتب العسكرية أيضاً إلى أبطال لقصصه: «الجبهة الداخلية طوّرت أسلوباً خاصاً بها، فإن ضباطها الذين لم يستطيعوا التفاخر بأعمالهم البطولية في المعركة صاروا يتفاخرون برتبهم العسكرية...[٥٥].

وهكذا يكتب عن طفل أسير:

«وإذا بقي الطفل معنا، فسيقوم بخدمتنا، سيحضر الطعام، وينظف الأواني وسيسهل علينا الحياة. فلماذا نتركه يذهب لخدمة المصريين؟ [٥٦].

يكتب يورام كانيوك عن «طهارة السلاح»- بحيث يعبر عن الفكر العسكري في قصته: «أصدقاء بيني»[٥٧]: كانت أموراً صعبة وصراعات خطيرة. عندما يقولون اليوم، طهارة السلاح، يفكرون بأمر ولد مع الإنسان. يتناسون أن طهارة السلاح هي أمر فيه صراع.

ففي الوقت الذي ترى أصدقاءك الشبان الطيبين يموتون حولك - وعندما تحدث أمور فظيعة وعندما يقطعون الرؤوس ويمثلون بالجثث، عندها فإن الصراع حول التعامل الإنساني مع العدو يكون أمراً قاسياً»[٥٨].

وهكذا يكتب عن «الآخر»:

«لماذا لا نقضي على وسائل الإنتاج؟ اذكر هذه الجملة كما لو قيلت اليوم، وقد قيلت عن امرأتين من بيت محسير، أذكر كيف أن القائد أطلق النار بشكل عشوائي لأنه أراد أن يتدرب.. كان آخرون وكانت نقاشات بين الظلال.. [٥٩]

في كتابه «الإنسان ابن الكلب»[٦٠] يكتب كانيوك بإعجاب عن الضباط والجيش الإسرائيلي

ومن جهة أخرى يستهزئ بالجيش المصري المهزوم :

«لقد أعجب بإسرائيل وموشي ديان بسبب حرب سيناء التي وقعت قبل فترة وجيزة . . . [٦١]»

«الرحلة التي بدأت مسيرة، الواحد تلو الآخر، يداً بيد، وعيون حالمة، بدت للناظر جيشاً مهزوماً فقد الثقة والاتجاه والأحذية . . . كل واحد ونفسه، وحيداً في الصحراء . . . [٦٢]

وفي كتابه «حيمو ملك القدس»[٦٣] يصف كانيوك المعركة على القدس والجرحى المستلقين على خط الحدود. كما يصف مشاعر الحرب التي تشمل وصف موت عاشق في الجليل حين قام بتفجير جسر بواسطة عبوة كانت على جسده. أما حيمو وأصدقاؤه فكانوا مجرد جرحى :

إنهم لم يموتوا. لقد تعطلوا لكنهم لم يصبحوا أساطير. إنهم مجرّد جرحى، هو - صينية الذهب[٦٤] .

الدير الذي تحوّل إلى مستشفى أثناء الحرب، هو بمثابة غنيمة : الأملاك المهجورة. . هي أملاكنا، لقد أخذتموها منا . . . لا أحد يريد أن يعيدها إليهم، أليس في ذلك شيء من الخنزرة؟ إنها أخلاقيات الحرب»[٦٥]

وهكذا يتحدث عن المقاتل العربي :

«لا تقلقي يا فتاتي، سوف ينكرون، سوف يهربون مثل الكلاب الحقيرة[٦٦]».

ويكتب أيضاً عن الغنائم وبشاعة المقاتل العبري : «سارت الأخوات خلف ماركو شقيق حيمو، وهن يرددن أنه يحمل في جيبه أذن عربي مقطوعة، كما لو كانت حجاباً، وهو يلوكها مثل ألبان، وأكدت إحداهن إنها رأته يفصل ذلك . . أقسمن الأيمان أنه كان يخلع أسنان الذهب من جثث العرب وقد امتلأت جيوبه بالأسنان وخواتم الزواج . . . [٦٧]

«أحد الجنود كان يحرّك أسطوانة الغرامافون الأسود القديم، وآخر فتح صندوقاً مليئاً بالاسطوانات التي أخذت غنيمة من إحدى القرى العربية المهجرّة»[٦٨].

وهكذا يصف حالة الاستعلاء وإلغاء «الآخر» :

«وعندما انطلقت الأنغام الأولى من هذه الأسطوانة انطلقت أصوات السامعين التي عبّرت عن استياء واحتقار لها[٦٩]. «اسمعوا موسيقى حقيقية، ليس بكائيات عربوشية مقرفة [٧٠] .

وفي كتابه «النازل إلى فوق»[٧١] ، يصف كانيوك المعركة على «بيت عيشت» بقوله :

«كانت جثة شخص ملقية على الأرض دون حراك . امرأة في الأربعينيات ركعت فوقها مخضبة بالدم، وهي تنوح، إلى جانبها وقفت عجوز منكمشة وقاطبة الجبين، من أولئك العجائز العربيات اللواتي تبدو سحناتهن كورق الدوالي التي جففتها الشمس خلال أشهر طويلة، وكانت الجثث ممزقة وجامدة، عينا المرأة كانتا غائرتين في محجريهما تحيطهما تجاعيد تبدو كهضاب من الكركار، كانت نظرتها مليئة بالدهشة والجدة، وبين الحين والآخر تفوهت بلفظ غير مفهوم . عندما دخلت كان أريك يضربها، سقطت على الأرض، جسدها حرّك الجثة الهامدة، المرأة التي ركعت فوق الجثة وكانت تتمتم وتبكي، قفزت من مكانها نحو أريك وبصقت في وجهه . مسح أريك البصاق ببطء، حدّق بي، وفجأة قفز وأمسك بها وخلع وشاحها وحشره في فم العجوز التي حاولت الوقوف : «إن كل عربية قذرة هي جندي في الحرب القادمة، صرخ أريك وأضاف : أنظر - أنظر إلى قميص الرجل الميت، هل تعرف لمن هذا القميص؟ أنا سأقول لك . إنه قميص يوحاي . أنا أعطيته القميص وهذا الحذاء يرتديه - ويوحاي ميت . كل هؤلاء العرب الأقذار سيموتون مع قمصان أو بلا قمصان . القميص فقط لا يموت، يخرب بيته . لقد أصيب يوحاي برصاصة في ظهره وهو يستلقي تحت الشجرة يرتجف برداً، أنهم يخبزون بالدم، بدم يوحاي»[٧٢] .

فقرة أخرى :

«بدأ أريك يضرب الفتاة بعقب البندقية، نشبت لإيقافه، أمسك بي شابان وقفا جانباً : وهما صامتان، ماذا تفعل؟ سألني صيفي، إنه صديقك، أليس كذلك؟ ما هكذا يعامل الصديق .

قلت كي لا يقتل هذه المرأة وقال الجنجي :

امرأة، رجل، ما الفرق، عندما تضطر أن تقتل فماذا يهم من يقتل، إن أريك يلتهب مثل النار، وعليه أن يطلق هذا اللهيب، أن يقذفه، على عربي أو عربية، كلهم نفس الزفت . وبصق، ثم تابع، اذهب وقاتل يا شعلة الأخلاق! وقال أريك موجهاً كلامه لي : اقرأ لهم القصائد - وركل المرأة بقدمه وكانت تتلوى ألماً، وقال أيضاً : لقد كان والده يقرأ له الشعر -

والده مثقف، يبحث عن الآثار القديمة ويصغي إلى بيتهوفن. انصرف، انصرف وانضم إليهم - ارفع العلم، فأنت معهم ستحرقون الشعب اليهودي.

كيف تنام في الليل عندما تتذكر كم عربياً قتلت؟ أمسك بها أريك وانزل عليها ضربة، سقطت على الأرض تنزف دماً وتتأوّه ثم صمتت[٧٣].

وهكذا يصف معاملة الجندي لطفل عربي:

«ماذا سيصبح بعد عشر سنوات؟ صاح أيلي وأضاف:

هل بعد عشر سنوات سيكون شاباً طيباً؟ صغيراً وطيباً؟ سأقول لك ماذا سيصبح بعد عشر سنوات، سوف يذهب بهدوء إلى البيت ويأخذ بندقية ويأتي في الليل إلى ساحة بيتك حين تكون جالساً على أنغام بيتهوفن وسيطلق عليك الرصاص من الخلف. إنه سيغتصب كل من يلاقيه في طريقه، سيغتصب ثقب الجارور، هذا البندوق. أنظر إليه، إنه طيب أليس كذلك؟ ستقتل واحداً، ستقتل هذا الطفل، وإذا أطلقت عليه الرصاص فلن أذبحه، أمنحك دقيقتين من الوقت: هل ستطلق عليه الرصاص أم أبدأ بذبحه؟ أسمعت، طلقة واحدة، الطفل سقط على الأرض، أنا أطلقت الرصاص. الرصاصة أصابته في عنقه، كان ميتاً»[٧٤].

رد المقاتل على قتل طفلين:

«هنا قتل طفلان[٧٥] نحن كنا الجنود الذين نفذوا الأوامر[٧٦]».

الكاتبة نتيفا بن يهودا تصف أيضاً الحرب بلغة أدبية ففي كتابها: «١٩٤٨ - حكاية عن بداية الحرب»[٧٧]، تكتب عن الروح العسكرية التي سادت بين مقاتلي البالماح، إنهم ينتظرون الحرب وهم على استعداد لأن يقتلوا كل من يصادفهم في طريقهم[٧٨].

«وكيف غنوا، كأن للكلمات الآن معنى آخر: حق الكلام للرفين برابلوم - ليس هناك ما يقال. لقد كنا على أتم الاستعداد لملاقاة العدو. انتظرناه ألفي عام، ليس مهماً من هو هذا العدو، إن كل من سيأتي سوف يضرب»[٧٩]

«وغنوا للمرة العاشرة: «خصيناك، خصيناك يا..»[٨٠] السلام على لسان المقاتلين هو شتيمة، إنهم يريدون الحرب التي تحقق صهيونيتهم»:

«السلام! يا الله! لتنصرف هذه الشتيمة من رؤوسنا، نريد أن نرى الصهيونية نظيفة، ولو

لمرة واحدة بدون الأمن[٨١] .

تكشف نتيفا بن يهودا أن أعضاء البالماح كانوا يتماثلون مع منظمات «الايتسل «والليحي» في أعمال الإرهاب التي نفذتها :

«والله، أن الايتسل والليحي على حق. هكذا اعتقد كل واحد منا في أرجاء الجليل»[٨٢] .

الجنود يحبون الحرب :

«أنا لا أعرف ماذا يعني أن لا تكون جندياً. لأنني مجند منذ كنت في السادسة عشرة. واليوم أنا في التاسعة والعشرين. وأقول لكم إنني أعشق الحرب، وسألته : تع . . . شق؟ فقال : نعم، أعشق.

طبعاً أنا سعيد لأنني في الجانب المحق. ولكن انظري كم توجد أشياء جميلة في الحرب.

أولاً : الإنسانية تحب الحروب، هذه الصداقة بين المقاتلين، لا يوجد لها مثيل بين البشر، مصدرها الحرب فقط»[٨٣] .

وفي كتابها الثاني : «خلف الضفائر، رواية عن ثلاثة شهور في العام ١٩٤٨»[٨٤]، تصف معاملة الإسرائيليين للأسرى العرب المكبلين :

«عندما دخل المقاتلون إلى عين زيتون، جمعوا كل الرجال الذين اعتقدوا أنهم جنود حقيقيون أو ضباط، أو بدوا وكأنهم ضباط، فأخذوهم وكبلوا أيديهم وأرجلهم والقوا بهم في واد سحيق تحت عين زيتون، وظلوا هناك لمدة يومين. في هذا الوقت كانت المشكلة : «ماذا نَفعل بهم؟» «ماذا نفعل بهؤلاء الأسرى؟ «يا مئيركي، لماذا لا تقول شيئاً عن هؤلاء العرب في الوادي؟ وقال مئيركي : يجب قتلهم جميعاً، كان يجب ألاّ نقبض عليهم»[٨٥] .

واستدعى يهونتان سيلع وقال له : لا يهمني كيف ستفعل ذلك. أريد أن اسمع بعد ساعتين على الأكثر إن جميع الأسرى قضي عليهم، وخلاص، تنتهي هذه المشكلة[٨٦]»

مرت ثلاثة ايام وفجأة تبين أن عيوناً غريبة جاءت لترى ماذا يحدث لهؤلاء الأسرى. لم أفهم عمّن يتحدثون، ومن سيأتي ليرى، ولكنني أدركت أنه أمر خطير أصبح مستعجلاً : يجب فك هؤلاء الأسرى، ولا أحد يستطيع أن يفعل ذلك. فسألت مئيركي : ما المشكلة؟ وعندها تبين لي أنهم قتلوا جميعاً. حلّت المشكلة، وهدأت الأوضاع وقال

مئيركي : أولئك الذين قتلوهم تصرفوا مثل الهبلان، فلم يفكوا قيودهم ولا أحد يستطيع الآن أن يفعل ذلك [٨٧]»

«حشرات! إنهم حشرات. وقال إن علينا أن ننظم مجموعة من الذين لا يخيفهم الدم، لينزلوا إلى الوادي ويحلوا المشكلة في خلال ثوان - فما هي المشكلة في حل القيود؟ وكلف بعض المقاتلين وقال : أعرف أنني أستطيع الاعتماد عليكم، قالها بهدوء كأنه يقدم لنا أجمل إطراء واثمن هدية، فسألته : كيف وجدت من يستطيع قتلهم؟ فقال : وجدت، كنت على استعداد أن انزل بنفسي وأفعل ذلك دون أن يرف لي رمش! وعندها تحمس شابان، وهنا قال لي أسماءهما بهمس بالرغم من أننا كنا فقط نحن الاثنين في الفرقة، وقال : لا تتجرأ على ترديد الأسماء . . . حتى في الحلم، مفهوم! وبقيت ملتصقة بالأرض، فإذا كان يطلب مني ألاّ اذكر الأسماء حتى في الحلم فهذا دليل على أنه كان يجب ألاّ يقوم بهذا العمل. وأن يصف الذين نفذوا العمل انهم حشرات[٨٨]».

«أنا ما انهرت، لأنني لم أكن «حشرة» . . . . لأنني لم أخف من الدم في تلك المرحلة من الحرب، مثلما قال مئيركي، ولكنني لا أستطيع أن أقول أنني نجحت في أن أخرج هذه الواقعة من ذاكرتي، ربما أن هذه اللحظة غيرت مجرى حياتي. الأمر الأفظع هو الطريقة التي لجأوا إليها لإخفاء هذه الحادثة. لا شيء عرف عنها، ولا أحد يستطيع أن يكشف عن هؤلاء المقاتلين الذين افرغوا الرصاص بهؤلاء الأسرى. الذين أطلقوا الرصاص كانوا في حالة ذهول جعلتهم يمطرون الجثث بالرصاص - لم أر مثل هذا في حياتي : كانت الرصاصات بارزة على الجثث مثل الأزرار والمسامير! والدم - بحر من الدم، دم الواحد امتزج بدم الآخر. حمام، حمام من الدم، مثلما كانت توصف مجازر الكارثة في المراثي. فما العجب إنهم لم يعودوا إلى هناك؟ لو أنني كنت أشعر بالذنب لما عدت إلى هناك. إنهم حتى وأن تطوعوا للقيام بذلك - فلم يكن بمقدورهم أن يقتلوا! إذن - طهارة السلاح - ليست أمراً خياليا». إنه أمر واقعي. إنه حقيقي، وهو يعني : لا تقتل بشكل «غير صحيح»!! لأنك لا تستطيع أن تقتل بشكل «غير صحيح»، لأن البشرية لا تقتل بشكل «غير صحيح»[٨٩].

«لا يمكن أن نعلمهم درساً بهذه الطريقة. الانتقام؟ الانتقام لا يمكن أن يتم بسلاح غير نظيف.

انظري كيف انهم افرغوا باغة كاملة، عشرات الرصاصات، بكل قتيل! يمكن الاعتقاد انهم عندما ضغطوا على الزناد، كانوا يشعرون بأن شيئاً ما يهددهم. لا شيء، فلم يكن أمامهم سوى رجل مقيّد برجليه ويديه. طبعاً مع عينين جاحظتين من شدّة الخوف وربما مع صرخات رعب ولكنه كان مكبلاً. فما الحاجة لإفراغ باغة كاملة بشكل متواصل؟ هذا هو الخوف، التهديد المرعب، الذي جاءهم من الداخل، من باطن نفوسهم الذليلة المحطمة - وليس من العدو»[٩٠].

دان بن آموتس، في كتابه: «الجمل والنصر [٩١]»يتحدث عن الرغبة في إطلاق الرصاص والقتل. وفي قصته يرمز الجمل إلى العربي:

«أطلق النار على الجمل! إنه هدف ممتاز». قال الضابط ولم يتبسم[٩٢]».

«اعتقدت أنني في داخلي أرغب في إطلاق النار على مخلوق حي... ربما لأرى حالة الانتقال من الحياة إلى الموت....»

«وجهت بحذر سهم الناظور إلى صدر الجمل»

«أطق عليه النار، لا تكن حساساً! وقال للضابط الآخر: لا تعرقله! هذا ملك العدو! وضعت رصاصة ثانية، صوّبت، لقطت أنفاسي، توقفت عن التنفس.. وأطلقت! في هذه المرّة أصبت الهدف [٩٣]».

«اطلق عليه! ألا ترى كيف يعاني؟ صوّب إلى العنق أو الرأس إن كنت تقدر. في تلك اللحظة خامرني شعور إن ثلاثة رجال أعلنوا الحرب على جمل [٩٤].

وفي كتابه «لا أكترث...»[٩٥] يعترف بن اموتس، أنه في المدرسة كان تلقى تربية على العسكرة:

«ولكن هناك، في ساحة المدرسة، كان واضحاً لنا جميعاً أننا سنتوجه إلى وحدات مقاتلة - على الأقل بالنسبة ليغئال وعامي واعتقد بالنسبة للآخرين، كان ذلك واضحاً.

أولاً: لأننا آمنا بالكلمات الجميلة: «لا مناص» و«كتب علينا» وكل الكلمات التي نسمعها عشرين مرة في الراديو والتلفزيون.

ثانياً: الثياب المنمّرة، والقبعة الحمراء وأحذية المظليين.. هذا ليس أمراً بسيطاً، رأيت أصدقاء يستقتلون من أجل هذه السخافات.. ليقولوا عنهم إنهم كانوا رجالاً؟ [٩٦]»

وهكذا يكتب عن معاملة الأسرى وقتلهم وهدم البيوت والسرقة والتعذيب :

«في المرة الأولى عندما شاهدت تفجير بيت عربي لم أفعل شيئاً . تقبلت هذه العملية كأنها عقاب لا جدال حوله . لكن شيئاً فشيئاً بدأت تلاحقني صور هذه العائلة المهجرة التي تنظر بصمت إلى البيت مع كل سكان القرية [٩٧] . . .

بشكل ساخر يكتب بن آموتس عن دوافع الحرب :

«حربنا عادلة وأخلاقية لأننا نريد أن نزرع البندورة في مستوطنة أم شرط والعنب في وادي فيزدينيا . نحن نريد أن نعيش من عرق جبيننا في نابلس والخليل ، نريد أن يحين القطاف في صحراء أريحا ، فلماذا يتعرضون لنا [٩٨]؟

ويكتب ما يلي في تبرير الحرب :

«الحرب كعنصر تربوي ، ولاصقة قومية ، ومحرك اقتصادي هي أمر ضروري يجب أن ندفع ثمنه ، وهذا ليس أمراً عظيماً . قتل شخص واحد أو اثنين كل يوم . . . وبعض الجرحى هنا وهناك . . . هذا أمر حسن . إنه يوحدنا . . . ويشجع على الإنجاب . . . ويوحد الشعب . . وتنشر الصور في الصحف وتقام مراسيم الدفن الرسمية . . . وتشتغل طنجرة الضغط . . وبوتقة الصهر . . . كل شيء على ما يرام»[٩٩] .

أما بنيامين تموز فيتحدث عن معاملة الأسرى في قصته «مسابقة في السباحة»[١٠٠] ، وفيها وصف للمعركة على تل الريش فيكتب :

«هل تعرفه؟ سأل الضابط .

أعرفه! قلت

وهل ممكن أن يفيدنا بمعلومات مهمة؟ سأل

فقلت : ربما!

وقال : ولكن دعني اصفي معه حساباً قديماً .

هل تريد ضربه؟[١٠١] ،

وفي تلك اللحظة سمعت طلقة عبر البيارة .

توقف قلبي عن الخفقان . عرفت أن عبد الكريم قد قتل؟»

لقد قتلوا العربي «تباعك»! قال لي. فقلت : لقد خسرنا [١٠٢]»

وعاموس كينان في كتابه «وردة أريحا»[١٠٣] . . يعيدنا إلى المجزرة التي ارتكبت في أثناء احتلال اللد، وعدم المحافظة على «طهارة السلاح» :

«بعد وقت قصير سافر موشي ديان الذي كان قائد كتيبة النهلاليين في اللواء ٨٩، سافر على قافلة من الشاحنات العسكرية في شوارع اللد. أطلق الجنود الرصاص من الشاحنات بشكل عشوائي، هنا وهناك حطموا شباكاً أو قتلوا دجاجة، حتى الآن لم يعدّ أحد كم من دجاجة أو بقرة أو حمار أو جمل أو غنمة أو عنزة قتلوا في هذه الحرب [١٠٤]»

كتب مردخاي يعقوبوفيتش الكثير عن الحرب ٤٨، وقد اشترك في هذه الحرب، فيكتب عن روح العسكرة في كتابه : «مقاتلون يتكلمون : فصول في حرب قيام الدولة»[١٠٥] : «لو أقيمت وحدة انتحاريين كما فعل اليابانيون، لكانوا من بين الأوائل الذين ينضمون إليها . . . [١٠٦]»

«أخذت حميدة قنبلة وألقت بها، صوت الانفجار جمع العديد من الناس . . . [١٠٧]»

«كان يعتبر حيواناً من حيوانات النقب . . . جلس في قاعة السينما وأطفأ السيجارة على قرعة الرجل الذي جلس أمامه»[١٠٨]

«واجهت مجموعة من العصابة التي تفرق مظاهرات الشيوعيين بالكلمات، لقد كان واثقاً أن بابو يقف على رأسهم، فهو يكرههم كره الموت [١٠٩]»

اسحق تيشلر، المقاتل في الكتيبة الرابعة في لواء البالماح الأول، يروي في كتابه «الأواخر على التلال»[١١٠] تفاصيل المعركة المختلفة وبالذات الاستعدادات للمعركة الخاسرة في ملكية وزرعين واحتلال اللد والرملة التي تثير الجدل بين المؤرخين (المجازر، الغنائم، الهدم، والطرد). في كتابه يستعمل كلمة «عربوش» عدة مرات استهتاراً بالعدو واحتلال قرية عنبة التي افرغت من مقاتليها عشية المعركة :

«أمر بسيط، اسماعيل أهبل بالرغم من كل شيء. لقد احتقرنا الهاربين»[١١١].

ويكتب تيشلر عن التهجير في اللد :

«قال باستخفاف : كلهم، تجمعوا كالغنم. . وها هي القافلة الطويلة تبدو أمام نواظرنا،

يرافقها الجنود. . . منهم من يتعامل معهم بقرف وبعضهم بوقاحة وعنف [١١٢] . . .

«كان يجب ألاّ نوافق على التهجير، قال حاييم بغضب مكبوت. . هذه ارضهم مثلما هي أرضنا. بعد الحرب سوف نعيش سوياً[١١٣]

والأخطر من ذلك، التعامل الوحشي. جنود يضحكون وجنود يضربون باعقاب البوارید، وجنود يضربون على الظهر وعلى الكتف. إنهم جنودنا، من البالماح وليس فقط من فرقة «كرياتي»[١١٤] . .

وإليكم هذه الحادثة التي يحفظها الكاتب في ذاكرته منذ أيام الطفولة :

«إزاء حارتنا امتدت بيارات قرية جموسين. . . أهل القرية كانوا معتدلين وموالين. . . في إحدى المرات أطلقت رصاصات على الحارة. . . صار أفراد الأمن يرقصون فرحاً. . . ها قد حدث أمر يؤكد أن خطراً مقبلاً. غضب والدي وقال : هذه فرية. . . العرب لم يطلقوا. الحراس (اليهود) انهم يريدون المزيد من الذخيرة والسلاح وموافقة من القيادة على طرد أهالي جموسين. . إن أهالي جموسين لم يسيئوا لنا. . . [١١٥]

ويكتب المؤلف عن نتائج الحرب :

«لم نتحدث عن الوجه الآخر للعملة : عن العائلات المهجرة من وطنها[١١٦] . . .

وكتب عن مجزرة دير ياسين :

«ارتكبت الايتسل مجزرة رهيبة في دير ياسين الواقعة قرب القدس، قتل عشرات الأطفال والنساء. . بدم بارد، وبدأ سكان القرى المجاورة يهربون. . الوكالة اليهودية وبقية المؤسسات كانوا منصعقين [١١٧]»

وعن بلد الشيخ :

إن كل الكلمات عن طهارة السلاح لم يكن لها أساس، فقد كانت الأوامر قبل احتلال بلد الشيخ أن نطرق على كل شباك وكل بيت ونقتل الرجال فقط. . . لم تقم أية مجموعة بتنفيذ هذه الأوامر. كلهم القوا القنابل وأطلقوا الرصاص داخل البيوت دون أي تمييز [١١٨]».

ويضيف الكاتب عن روح العسكرة التي سادت بين المقاتلين :

«ربما؟أن تطهير المنطقة كان عملاً سياسياً لخلق واقع جديد على الخارطة، ولكن القتل

ذاته . . . إننا لا نستطيع الإنكار . . . أعرف ماذا حدث في عشيرة البدو قرب الأردن . وأنت أيضاً تعرف . كنا هناك ، نعم ، كنا ، أنا أكره القتل لأجل القتل . . . وأنت تعرف هذا . . . القتل؟ ماذا يعني القتل؟ عربوشيم قذرون ، لو أننا لا نخيفهم لكانوا قضوا علينا . . . هذه جريمة ، هذه ليست حرباً[١١٩] . . »

عودة إلى احتلال اللد :

«نعم – لقد قالوا إنه تمت السيطرة على المدينة ، وإن سرقة البيوت تتم بسرعة خاطفة ، ويجب الإسراع . . كانت الشاحنة محملة بالصناديق وعليها أكوام من القماش – ما هذا؟ أجهزة وأدوات : أجهزة راديو ، ماكنات خياطة ، وأشياء أخرى»[١٢٠] .

ويكتب أيضاً عن الغنائم :

«في البداية لم يتم الحديث عن غنائم – علبة حلاوة حلوة ، صحن من الحلويات غير المتقنة وبألوان فاقعة ، كوفية أو شبرية أو فنجان[١٢١]»

«بينما كنا نتجادل حول المسألة الأخلاقية بالنسبة للسرقة في اللد ، سمعنا من القادمين وصفاً حياً ومشوقاً عن السرقات الكبيرة في المدينة ، في البيوت الخاصة والحوانيت والمصانع . . . [١٢٢]

ويضيف الكاتب :

«كان عليك أن ترى ما حدث في الرملة . . . كل فرد من أفراد وحدة «كرياتي» قام بالسرقة لمصلحته . . . وصلوا بالسيارات من تل أبيب وافرغوا المدينة وحملوا الغنائم إلى بيوتهم . . . من رباط الأحذية وحتى مولدات الكهرباء . . . ومن الثريات حتى السجاد الفارسي . . . [١٢٣]»

وهكذا يفصح تيشلر حول موضوع الغنائم :

«الغزاة أصروا على أعمالهم ، والذين عارضوا امتنعوا عن إثارة الموضوع . . . فإن أحداً منهم لم يطالب بإعادة المسروقات . . . ولا أحد منهم أعلن إنه لن يتمكن من العيش في بلدته مع أغراض جمعوها بالسرقة وليس بعرق الجبين [١٢٤]»

وتصف تمار بيرغر احتلال يافا في كتابها «ديونيسوس في المركز[١٢٥]» فقد فجرت منظمة «الليحي» سرايا يافا بتاريخ ٤/ ١/ ٤٨ . . .

«إنه عمل يرمز إلى انهيار الخدمات العامة وإلى السيطرة على المدينة»[١٢٦].

وهكذا تصف التدمير والقتل :

لقد أصيب مكتب اللجنة القومية وسقط سقفه، سقط تسعة قتلى واكثر من مائة جريح وبقي خمسة عشر شخصاً تحت الردم[١٢٧]».

لقد كتب الكثير عن السرقة والنهب وكانت يافا إحدى المدن التي تعرّضت لنهب كبير وما لم ينهب حوّل إلى أملاك الغائبين.

يدا الحاكم العسكري الأول لمدينة يافا، اسحق تشيزيك كانتا مكبلتين :

«فعلاً، بعد شهور قليلة على تعيين تشيزيك حاكماً على المدينة يئس من إمكانية فرض السيطرة والقانون على المدينة حرصاً على أملاك اللاجئين، فقدم استقالته [١٢٨]»

بعد استقالة حسم مصير أشجار البرتقال، وغرفة الطعام والسجاد الفارسي والأدوات المنزلية الثمينة والصور والعكاز ذات اليد الفضية التي بقيت في إحدى بيوت يافا [١٢٩].

لقد برزت عسكرة الاحتلال في سلوك المحتلين والغزاة العسكريين والمدنيين :

«التعامل مع السكان العرب هو بعدم تطبيق اتفاقية التسليم التي وقعوا عليها. جيش الاحتلال الجنود، سلوكهم بالنسبة للأملاك والسكان تجسد في الاعتقالات والتفتيش بدون أوامر والضرب والاعتقالات والسرقة وقتل الناس، حتى الأمس بلغ العدد ١٥، إخراج بضاعة وحاجيات مسروقة والمصادرة. كانت المدينة منهوبة وكل من مرّ بها شعر بالخجل لرؤية الهدم وأعمال الاغتصاب.. [١٣٠]».

وفقرة أخرى :

«انهم يخالفون ميثاق جنيف والقوانين الدولية. يطلقون النار، ويعتقلون بلا سبب، بغض النظر عن عمر المعتقل أو وضعه الصحي، اغتصبت طفلة في الثانية عشرة واعتدى على طفلة أخرى.. الجنود يصلون في الليل إلى بيوتهم لعائلات محترمة ويجبرون الفتيات العذراوات على مرافقتهم. في جباليا عثر على ١٥ جثة. الأطباء أقروا أنهم قتلوا رمياً بالرصاص. البيوت استولى عليها الجيش والأثاث الذي لم ينهب القي على الشوارع. يوجد نهب كثير، ويقوم به جنود ومدنيون، رجال ونساء، الشاحنة تلو الأخرى، في وضح النهار [١٣١]».

حرب سيناء والعمليات الانتقامية :

«الأرض التي يطاردها أعداؤها
وهي تطارد أعداءها
سوف تقبض على أعدائها، لكن أعداءها
لن يقبضوا عليها بأيديهم. . . .»

(يارون لندن، «ومطاردة»)

يطرح الكاتب أ. ب. يهوشواع في كتابه «إزاء الغابات»، مشكلة اللاجئين والقرى العربية المهدومة، الناجمة عن الحرب والعسكرة[١]. «أليس هو ابن هذا المكان؟ ابن المكان؟ إن الغابة تغطي قرية مهدومة. . . قرية؟ قرية صغيرة! قرية صغيرة؟ آه. . . (يتذكر شيئاً ما) نعم، هنا كانت مزرعة كبيرة. ولكن، هل هذا شيء من الماضي؟ طبعاً، الماضي [٢].

وعن التحقيقات والتعذيب يكتب يهوشواع :

«يصل الرجل العربي مع ابنته يرافقهما شرطيان يجلسونه على حجر ويبدآن التحقيق لمدة ساعات. . . ترتفع الشمس إلى وسط السماء. . . إنه جائع وظمآن. المحَققون يأكلون شطائر كبيرة دون أن يقدموا له لقمةً واحدة. . . في ساعات الظهر يتبدل المحققون ويأتي اثنان ويبدآنَ كل شيء من جديد. في الساعة الثالثة انكسر بين أيديهم، مثل عودٍ طري.»[٣]

مقطع آخر :

«طبعاً انتظروا هذه الإشارة فقط. منذ مدة يشكون بهذا العربي، كبّلوه بسرعة وحملّوه في إحدى السيارات. . . والطفلة تنجر خلفه يائسة. . .»[٤]

في قصة أخرى من هذه المجموعة، بعنوان «القائد الأخير»[٥] يتحدث عن «المخدرين» الذين ينتظرون الدعوة للخدمة الاحتياطية إلى أن يتعكر صفو حياتهم :

«في كل عامٍ، مع قدوم الصيف، تجند فرقة احتياط للتدريب العسكري، ولكن، نحن -

قدامى المقاتلين القدامى لا نستدعى، في البداية فكرنا أن نعبر عن استيائنا فقد حاربنا سبع سنوات دون كلل . . . ولكن في هذا العام، مع قدوم الصيف التقينا من جديد. إن الموظفين المسؤولين عن الاستدعاءات قد تذكرونا»[٦].

الخدمة في الاحتياط هي خروج عن الحياة الروتينية المدنية : «. . نحمل السلاح المنسيّ في أيدينا نركض ونهاجم ونمشي ونحمل الأمتعة ونقاتل حتى تخور قوانا في معارك وهمية، ثم نهاجم ونتراجع ونعود لننتصر على الريح، وعلى أنفسنا»[٧] وفي هذه القصة يتحدث عن مذبحة :

«في الحرب كانوا مسؤولين عن المتفجرات لقد فجروا قرى بأكملها على سكانها»[٨] .

وفي الفقرات التالية هناك تعابير عن نزع الإنسانية عن الآخر :

«أحياناً كانت تظهر في الوادي ثلاثة أشباح صغيرة، بلباس أسود، واحد في الأمام واثنان في الخلف، في سير منتظم، هؤلاء هم أعداؤنا القساة المهزومون الصامتون . . . ممكن أن يذبحوا جميعاً بالسكّين دون أن تطلق أية صرخة[٩]» .

«على مسافة قريبة ظهر أمامنا أشباح ثلاثة سود، توقفنا للحظة ونظرنا إليهم إلاّ أن الضابط الذي كان يصرخ ركض خلفنا ولما رآهم سحب سلاحه وأطلق عليهم النار[١٠]» .

أما غاليا يرديني التي أعدت كتاباً يخلد ذكرى ييرمي الجندي المظلي في أثناء عمليات الانتقام، فهي ترسم شخصية عسكرية كانت رائجة في صفوف الجيش في تلك الفترة، فقد تحول كتابها (ييرمي من المظليين)[١١] إلى أحد الكتب المقدسة لدى المقاتلين والمعجبين بهم . تكتب عن شخصية ييرمي وأعماله المثيرة للجدل، ما يلي : «الامتناع عن القيام بعمل ما يتطلبه الوضع في ذلك الوقت، لم يكن (ييرمي) يشكل النموذج لذلك»[١٢] بعد عملية حوسان تفاخرت قليلا أمام الأصدقاء في مقهى كاسيت (في تل - أبيب)»[١٣] (رفض شارون إشراكه في عملية قلقيلية) «متعطش للمغامرة طلب أن يقاتل»[١٤] .

«في الأيام العادية لم يكن على استعداد لأن ينصاع لأية أوامر»[١٥]

«في أثناء دروس التعلم على المتفجرات استهتر بوسائل الأمن الأساسية، وقد عرف إن هذا العمل لا يجوز القيام به ولكنه واصل عمله . »[١٦]

ويمكن أن نتعرف على أخلاقياته من خلال الفقرة التالية :

«ألقى أحدنا قنبلة دخان، هذه المخالفة أغضبت غوليفر (اسحق بن مناحيم) فأمرنا بان نكشف عن المخالف، أما ييرمي فقد تعامل مع الأمر بكثير من التساهل، ورمز لنا بالاّ نوقع رفيقاً لنا»[١٧].

«كان يسوق «كوماند كار» أخذه من مكان ما بدون مستندات وشهادات»[١٨].

وتكتب عن التعديات ومخالفة الأنظمة التي كادت تؤدي إلى مصادمات وسقوط قتلى :

«أحياناً، في خضم المعركة، كان يتوقف ليمجد جمال الخطر . . . .»

«لماذا الانفعال؟ في نهاية الأمر خرجت لأتنفس هواء من خارج البلاد»[١٩].

شخصية أخرى من سلاح المظليين (الوحدة ١٠١) تظهر في سيرة مئير هارتصيون، «فصول من مذكرات»[٢٠]، وفيها يصوّر شخصيته الهائجة والمخاطر التي واجهها هو والمجتمع : «طول الوقت قمت برحلات، ولكنها لم تكن مثيرة مثل الرحلات المحظورة قبل التجنّد، في أيام الخدمة في «الناحل» قمت برحلة إلى أراضٍ عربية»[٢١].

وهكذا يكتب عن مشاعر الاستعلاء والاستهتار بحياة الفرد من خلال نزع الإنسانية عن العربي :

« . . . . بسبب مشاعر الاستعلاء التي بالغنا بها، سمحنا لأنفسنا أحياناً بالقيام بأعمال يفضل السكوت عنها»[٢٢].

وهكذا يصف هار تصيون المعركة ضد البدو في صبحة وعوجا الحفير :

«إننا نلهو الآن باطلاق الرصاص المتواصل على بدوي»[٢٣]

كذلك عاموس أيلون في كتابه «الإسرائيليون، المؤسسون والأبناء»[٢٤] يتحدث عن ظاهرة العسكرة بين ابناء الشبيبة والتي تنعكس في شخصيات مقاتلي الوحدة ١٠١ : أرئيل شارون، يرمي بوردانوف، مئير هار تصيون وغيرهم :

«مئير هارتصيون الذي تحول الى اسطورة في حياته، حظي بتقدير واعجاب كبيرين في أوساط الجنود والشبيبة وبعض الصحف الواسعة الانتشار. في الجيش الذي ورث عن الكيبوتس مجد المؤسسة الإسرائيلية المتميّزة، تحول هار تصيون، ليس دائماً برغبة منه، إلى مثال البطولة

والرمز الحي «لليهودي الجديد»، متزّن – مقاتل ويصون ضميره بشدة. إن هار تصيون هو المظلي الأكثر شهرة في إسرائيل، وقد ذاع صيته في منتصف سنوات الخمسين وقد لمع مجده لمدة طويلة بعد تسريحه من الجيش بسبب إصابة قاسية تعرض لها في إحدى العمليات. وقال عنه موشي ديان : إنه هار تصيون بشجاعته وقدرته القتالية كان رمزاً ونموذجاً لكل الجيش الإسرائيلي، ومع ذلك فقد إقترب هار تصيون ربما أكثر من غيره، من الحالة التي تبرر القلق السائد من أن الحرب وعشرات السنين من القتل «المشروع» قد تحوّل الإنسان إلى حيوان»[٢٥].

فقرة أخرى يقدمها أيلون في كتابه :

إن مغامرتهما لم تردعهما، فقد واصلا تجوالهما الشخصي «في ركض طائش خلف الأخطار. الرغبة الجامحة بالتنقل في أرض العدو – لم تكن في حينه أمراً استثنائياً. ففي تلك الأيام أصاب الشباب مسّ من الجنون لقطع الحدود إلى الأراضي العربية – منهم من عاد سالماً ومنهم من أطلقت عليه النار.

الكاتبة نعومي فرينكل التي كتبت سيرة حياة هار تصيون، حلّلت هذه الظاهرة بأنها ناجمة عن الأجواء التي سادت بعد حرب ٤٨ وفي العقد الأول لقيام الدولة. كان هار تصيون وأبناء جيله أطفالاً عام ١٩٤٨، وقد تسلموا هدية رائعة هي أرض إسرائيل الكبرى غير المعروفة والتي عندما تجولوا فيها واجهتهم اليافطات : قف! أمامك الحدود! الحدود تغلق عليهم فضاءات البلاد فما العجب أن تنشأ غريزة البحث عن الحرية من خيبة الحدود؟ إن تجاوز الحدود أصبح بالنسبة لهم تحدياً مثيراً[٢٦]».

ويكتب ايلون عن الوحدة ١٠١ :

«لم تكن تلك السياسة بعيدة النظر ولا ناجعة فالفرق بين عملية (عسكرية) وانتقام تبدّد بسرعة في خضم الضربات المتوالية وردود الفعل إلى أن أصبحت مكثفة ووصلت ذروتها بشكل حتمي تقريباً – في حرب سيناء[٢٧].

ويكتب عن صفات هار تصيون :

«كان يعاقب خصومه بقسوة ودون تمييز. وبدأ يجسد صبغة إسرائيلية للمقاتل الهندي «fighter indian» في غرب أمريكا. قتل بشكل همجي المقاتلين والفلاحين والمدنيين العرب،

بغضب يخلو من الكراهية، ببرودة أعصاب ونجاعة تامة، كان يقوم بعمله بشكل جيد مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع خلال عدة أشهر»[٢٨]

ويكتب عن «حرب هار تصيون» الخاصة :

«في مساء نيساني غائم عام ١٩٥٦، حينما كان مجازاً وبلا نشاط – قام هار تصيون برحلة خاصة في أرض العدو. تجنب الألغام التي كانت مزروعة على طول الحدود الإسرائيلية الأردنية وهو يقفز من صخرة إلى صخرة. وقد حدّث فيما بعد أنه أراد بهذه الرحلة أن يرى أريحا والأديرة المحفورة في صخور وادي القلط. في طريق عودته إلى القدس – على الشارع الرئيسي – أطلق النار على جندي عربي وأرداه قتيلاً. هذا العمل لم يؤثر سلباً على شهرته الأسطورية. بعد وقت قصير قتلت أخته بأيدي بدو حينما كانت تقوم بجولة خاصة في أرض العدو. هار تصيون أخذ زمام الأمور وقتل بدويين حمّلهما مسؤولية قتل أخته – في هذه المرّة اعتقل وكانت ستوجه إليه تهمة إرتكاب جريمة، لكنه أطلق سراحه بعد تدخل شخصي من رئيس الحكومة بن غوريون ولم يقدم للمحاكمة. أغلق الملف لكنه لم يُنسَ، وقد توجّت هذه الحادثة اسطوريته بهالة أخرى من الرومانسية [٢٩]

الكاتب اسحق اورباز، هو أيضاً من بين الكتاب الذين تناولوا موضوع العسكرة في المجتمع الإسرائيلي، في كتابه «رحلة دانييل»[٣٠]

–فهو يصف التبجح والاستعلاء ومكانة المقاتل الإسرائيلي بشكل عام وجندي المظلات بشكل خاص.

«عندما تسير في الطريق وعلى رأسك القبعة الحمراء، هل تدرك هذه الحقيقة؟ . . . إنك تنتمي إلى عائلة المظليين. . أنا المظلي الأول بين أبناء عائلتي. . ماذا تشعر عندما تفتح المظلة؟ ضربة!

ما هو شعور المظلي الذي ينزل نظيفاً من السماء إلى رفاقه الذين لطختهم المعركة؟

لا يصل نظيفاً من السماء إلى المعركة»[٣١].

ويصل اورباز الذروة في وصف المقاتل الإسرائيلي في كتابه «على رأس الرصاصة»[٣٢]

«اقتحمت خيمة شموليك، ضابط الاستخبارات، وقلت له : قبضت على عربي مسلح»[٣٣]

ويكتب عن معاملة أسير :

«غضبت، ابن كلب، عاهرة. بندوق مخادع ومراوغ! إذا صادقته يسحب خنجراً من مخبأ ويغرزه في الظهر، هذه طبيعة العربي القذر. أمرته بالاستلقاء على بطنه وأن يفتح ذراعيه فركلته على مؤخرته لتخويفه. وبعد ذلك فتشت عند خاصريه، لم أعثر على سكين أو شبرية، خسارة. [٣٤].

«لم أشعر بالذنب... إنه يكذب... هؤلاء الأنذال»[٣٥].

«قبضت على «العوزي»(سلاح من صنع إسرائيل) ووقفت لأفعل شيئاً بهذا العربي القذر»[٣٦]

«أنا سأتولى أمر هذا العربوش... [٣٧]»

«والعربي؟ سأل شموليك.

واحد أقل.. هل يوجد له مكان في السيارة؟ أين هو؟ سأل شموليك

هناك... قال موسيك مشيراً بيده، مات هناك. طلبت أن تحضروه لا أن تقتلوه.. قال شموليك. نيكله أطلق عليه النار. هذا كل ما في الأمر»[٣٨]

في كتاب «المعركة» يصف ياريف بن أهرون حرب سيناء [٣٩]. وهكذا يكتب عن العاب طفولية في الجيش وجنود مقاتلين في مرحلة الطفولة :

«في طفولته أحب اللعب بلعبة الجنود المصنوعين من الرصاص. كان أبوه معتقلاً في السجن – وهو كان يشن له حرباً بمساعدة جيشه الخاص لكي يطلق سراحه.. ولكن في ذلك الوقت كنت أقود جيشاً من الرصاص وقد قتلت جنوداً من رصاص»[٤٠].

إن بن اهرون أيضاً يصف اتجاهات نزع الإنسانية عن العدو :

«المصريون هربوا إلى التلال مثل الصراصير»[٤١]

ويكتب عن النهب واستمراراً لما قام به الجيش الإسرائيلي في حرب ٤٨ :

«مجنون! ألا يملك والدك المال فتأتي إلى هنا لتسرق راديو؟ ما هذا؟ قطاع بحر؟ ألم تتسلم راتبك هذا الشهر فجئت تجمع الغنائم! اذهب واحرس على جنودك كي لا يتجولوا في المعسكر ويسرقوا... »[٤٢] «إنني أخلع من فم ضابط مصري أسنان الذهب التي لا فائدة لها.. عند المصريين فقط الضباط لهم أسنان ذهب»[٤٣]

«ألم يغتنوا هنا بعد حرب ٤٨ من بيوت مهجورة وبيارات وسرقات؟»[٤٤]

حرب حزيران ١٩٦٧

«من أرض المعركة أو من معسكر التدريب
بعد الغروب في الحقول.
عاد طابور من المدرعات يثير الضجيج
بعد الغروب في الحقول
اصعدي على الدبابة وتعالي معنا
الدبابة لكِ وأنتِ لنا»

(نوعمي شيمر، «بعد الغروب في الحقول»)

«وعندما عاد بشعره المحروق عند المساء
قال لها فقط : طفلتي، يا طفلتي.
هذه المعركة كانت ستنتهي بشكل مختلف
لولا أنني على طول الطريق
حملت اسمك معي. .»

(حاييم حيفر، «خروج المدرعات»)

من أهم الكتب التي صدرت بعد حرب حزيران ١٩٦٧ وكان بمثابة المعبّر عن الصراعات النفسية «لأصحاب النفوس الطيبة» الذين «أطلقوا النار وبكوا»، كان كتاب «حديث المقاتلين : فصول في الإصغاء والتأمل»[١] الذي أعدّه ابراهيم شبيرا (باتشي) وفيه ممكن أن نقرأ أقوالاً وأوصافاً تعبّر عن روح العسكرة ونزع الإنسانية لدى الجنود الإسرائيليين :

«على كل حال، في نفوس كل جنودنا اشتعلت نار الكراهية نحوهم، واقترح أحدهم أن نصفيه»[٢]

ويكتب عن قتل العرب الذين حاولوا العودة إلى بيوتهم وقراهم بعد انتهاء الحرب :

«عندما شاهدنا شخوصاً آتين من جهة الأردن، وبعد أن صحنا : قف! أمرت بإطلاق النار فقتلنا واحداً. وعندما انهينا الأمر وتوجهت لفحص ما جرى رأيت فلاحاً عربياً لم تكن له أية علاقة بالجيش - خالجني شعور سيء بشكل غير عادي. وما ضاعف مشاعري الرهيبة هذه كان انطباعي عن رد فعل الجنود الذين نصبوا الكمين وقاموا بعملية القتل»[٣]

إن النظر إلى العرب والمشكلة العربية كان عبر فوهة البندقية :

«أعتقد أنه لا فرق بين أبناء الكيبوتس والمدينة، ليس فقط بين أبناء الكيبوتس والحركات المختلفة. . . أعرف شباناً من حركة «هشومير هتسعير» ممّن نشأوا على محبة الإنسانية. . . أو كما يقولون هم : أخوة الشعوب. وسمعت منهم أقوالاً مثل : أنا أنظر إلى المشكلة العربية عبر فوهة البندقية»[٤]

ويضيف أيضاً :

«عندما يقول أحدهم «عربوش»، هذا يذكرني بكلمة «يهودون». . . . تفهم الكراهية للعرب أسهل من تقبل التعابير الاستعلائية»[٥]

ديفيد غروسمان، هو من أكثر الكتاب الإسرائيليين حساسية، وهو يصف بشكل صريح عملية العسكرة التي اجتاحت المجتمع الإسرائيلي. في كتابه «الزمن الأصفر»[٦] يصف نتائج الحرب والاحتلال والسلوك الهمجي (لقوات الاحتلال) في مخيم الدهيشة :

«يستيقظون وهم في حالة ذعر، ضوء المصباح يغشي عيونهم. أطفال يصرخون. أحياناً يكون هناك زوجان يمارسان الحب، جنود يطوّقون البيت، بأحذيتهم التي يلطخها الوحل من السير في أزقة المخيم - يدوسون على الفراش الدافئ، وبعضهم يصعدون على سطوح التنك» [٧]

ويضيف غروسمان :

«قالت لي موظفة بنك قبل أسبوع بصوت خافت كأنها تشاركني سراً :

«أكثر ما اكرهه هو أن أعمل في اليوم العاشر من كل شهر حيث يأتي العربوشيم لاستلام رواتبهم»[٨]

وهكذا يصف سلوك الجنود المحتلين القساة وإطلاق الرصاص على مواطنين عزّل : رجل وابنته كانا يسيران في الحقل :

«الأطفال هنا هم من الجيل الرابع في المخيم . طول الوقت يشاهدون الجيش يقتحم بيوتهم في الليل، يدخلون البيت ويجرون التفتيش ويصرخون ويقلبون الفراش ويمزقون البطانيات بالبنادق يجبرون الوالد على خلع ملابسه»[٩] . . .

«بعد أن طردونا من القرية – كنا نعود لنفلح الأرض، الجيش الإسرائيلي كان يغض الطرف، هم كانوا يتدربون على قمة الجبل ونحن نعمل في السهل . . . فجأة أحاط بنا الجنود الإسرائيليون وفرّقوا بيني وبين أبي، رأيتهم يعصبون عينيه بشريط قماشي ويدفعون به بين الشجر، أذكر أنه استدار نحوي مرة واحدة وناداني وبعدها سمعت طلقات . . . طلقات عديدة . . . أحد الجنود وجّه البندقية نحوي . . . رصاصته أصابت عنقي . . من الخلف وخرجت من الأمام . . . »[١٠] ويكتب في فقرة أخرى :

«قامت وهي تنزف دماً، وعصبت الجرح بمنديلها . بعد ذلك وجدت أباها ملقى على الأرض ويداه مكبلتان خلف ظهره، وعلى عنقه حجر كبير، ثلاثون رصاصة اخترقت جسده»[١١]

«في إحدى المرات عندما كنا في الخدمة الاحتياطية، نفذت عملية . . . جمعنا كل العرب الذين القينا القبض عليهم . . . حملنا شاحنات كثيرة، لقد ضربت كثيرين في تلك الليلة . . . كل عربي ألقى القبض عليه عضّه في أذنه بشدة لدرجة أنه كان يبتر منها قطعة . . لكي أتعرف عليهم في المرة المقبلة عندما نلتقي»[١٢]

وفي كتابه الثاني «حاضرون غائبون»[١٣] الذي يعيدنا إلى نتائج حرب ٤٨ – هناك وصف للمذابح والتهجير التي لا يمكن التنكر لها[١٤] :

«بعد احتلال القرية العام ٤٨ (مجد الكروم) جمع الجيش الأهالي في مركز القرية وأطلق الجنود الرصاص على أربعة شبان شاركوا في القتال – بعد ذلك حملوا بضعة مئات من الأهالي في حافلات ونقلوهم إلى وادي عارة، وأنزلوهم في لا مكان في منتصف الليل . . . وقالوا لهم : إلى الشرق . . . ومن كان يرجع أطلقوا النار عليه»[١٥]

ويكتب أيضاً عن المذابح والتهجير :

«كان هناك طفل هدم بيته (في حرب لبنان) قتل كل أفراد عائلته وكان الوحيد الذي وصل إلى هناك وقد فقد رجله . كان عمره سنة وثلاثة شهور ، كل امرأة قابلها كان يناديها : «أمي»[١٦]

«هرب جميع الناس – لم يكن أمامهم خيار إلا الهرب . خافوا من المذبحة ، لأنه قبل وصول الجنود إلى قرية عين حوض سمعوا عن مجازر في الطنطورة!!!»[١٧]

ويضيف :

«إذا كان هناك مجال للترانسفير فإن هذا لا ينطبق على غزة والضفة الغربية . وإنما على الجليل الأسفل . . . لقد تعلمت من المعراخ (حزب العمل فيما بعد – المترجم) أنه فعل ذلك مرتين . وأفضل مثال هو ما حدث في هضبة الجولان ، هناك طردنا بوحشية سبعين ألف سورياً خلال يومين . . . أو في مدينة حيفا ومدينة يافا حيث هجّرت من هناك ستين ألف يافاوي [١٨]

ويكتب غروسمان :

«ويجب تعزيز الشاباك والشرطة وحرس الحدود ، دولة شاباك وشرطة . . نعم ، دون أي تجمّل ومواربة . لا مناص ، لقد كتب علينا حقاً أن نصبح اسبارطة ، دولة المناظر العسكرية»[١٩]

ويكتب عن الترانسفير الذي جرى في الجليل كفر برعم وأقرت – بعد مخادعة السكان ووعدهم بإعادتهم إلى قراهم بعد أيام :

«في الخامس من تشرين الثاني ١٩٤٨ ، جاء قائد الجيش الذي كان يدعى يعقوب ، وقال إنه وصلت أوامر . . بإخلاء الأطفال والنساء والعجّز . . . ووعد بأن نخرج لمدة خمسة عشر يوماً فقط وبعدها يعود كل مواطن

إلى بيته . . الجيش أخلانا بسياراته ونقلنا إلى قرية الرامة . . . نحن لم نهرب ، الجيش هو الذي أخلانا»[٢٠]

«طلب الجيش من سكان كفر برعم القرية المسيحية المارونية بأن يبتعدوا عن القرية لبضعة أيام «إلى أن تنظف المنطقة من العناصر المعادية» ، خرجوا في قافلة طويلة سيراً على الأقدام

إلى حقول الزيتون. . هناك أمضوا أسبوعين. . خرج وفد من الوجهاء إلى القرية، ليطلبوا من الجيش إعادتهم إلى بيوتهم. . . كما وعد، عندما دخلوا القرية ذهلوا لرؤية الأبواب المحطمة والبيوت المهجورة والأثاث المرمي في الشوارع، طردهم الجنود وهم يهددونهم بالسلاح ويقولون لهم : هذه الأرض لنا الآن. . [٢١]

خلافاً للوعود وبعد الإخلاء والتشريد بدأ الجيش بهدم البيوت لكي لا يعود أصحابها إليها.

«سمع دوي انفجار قوي، وأمام أنظار اللاجئين (في برعم) بدأت بيوتهم تتطاير في الفضاء. استمرت العملية خمس دقائق فقط : عملية قصيرة وناجعة. في خمس دقائق إهتزت القرية وإنهارت، ثم بدأت الجرافات بجرف الردم»[٢٢].

يصف الكاتب يغئال ليف شخصيات وأحداثاً في الحرب، وبالرغم من أن كتابه يعتبر من بين الكتب المعادية للحرب، ألاّ أنه لا يخلو من روح العسكرة ونزع الإنسانية - كما ينقلها بلسان مقاتليه، في كتابه «أقسم بالله يا أمي أنني أكره الحرب»[٢٣].

وهذه الجملة تتكرر كثيراً في الكتاب :

«رامي أراد الحرب [٢٤]» . . . . . «قد لا تصدقني ولكنني أتمنى أن تبدأ الحرب [٢٥]» . . «أنا بحاجة إلى الحرب»[٢٦] «رامي أراد الحرب» [٢٧] «اسمع - ليت الحرب تنفجر [٢٨]».

وعن الرغبة في الحرب :

هكذا فكرت يوم تمنيت حرباً كبيرة تهزّك هزاً[٢٩]. بالنسبة للبعض منا كانت الحرب مغامرة عظيمة، طلبوا خوضها لكي يغيّروا مسيرة حياتهم[٣٠]»

مثال آخر على الكراهية للعرب :

«رامي يكره العرب. . . يجب تمزيقهم، يجب تمزيقهم حتى العظم، هؤلاء الأنذال. تحدث بحقد وهو يبصق الكلمات ويتشوّه وجهه الجميل [٣١]»

يشبّه يغئال ليف الحرب باحتفال كبير، وجمال ساحر، وربما أن هذه هي قمة العسكرة في كتب الحرب :

«مثير جداً أن ترى كيف تتحوّل الهضاب الخضراء ذوات الصخور البيضاء، إلى بركان يقذف النار في لحظات». لأول وهلة تعتقد إنه احتفال كبير، ما أجمله، حقاً هناك شيء

جميل في الحرب رغم بشاعتها وجنونها - هذا العبث الرهيب حيث يقتل الناس بعضهم البعض، فيه نوع من الجمال الساحر. تحليق الطائرات المتناسق واندفاع الدبابات والمدافع العظيمة التي ترتد بعد إطلاق القذيفة، وزهور النار التي تنتشر كألف شرارة. .[٣٢]»

وفي فقرة أخرى يظهر الربط بين روح العسكرة والتوسع الإقليمي - كما عبّر عنه أتباع «أرض إسرائيل الكبرى»[٣٣]:

«ماذا يعني لنا حائط المبكى؟ إنه جدار من الحجارة الكبيرة الرمادية من بقايا الهيكل! قرأنا عنه في التوراة. . تحوّلنا إلى مؤمنين بخلود إسرائيل. . وفي هذا الاكتشاف الرائع تأكيد على أننا لسنا شعباً عمره عشرون عاماً فقط، ولسنا أبناء جيل أو اثنين فقط في هذه البلاد وإنما استمرار لالآف السنين من مسيرة شعب إمتدت مملكته في المنطقة. هذه الحقيقة غمرتنا اعتزازاً، وفجأة نبتت كلمات التوراة في داخلنا. كلمات تتحدث عن شعب إمتدت مملكته داود وسليمان، على أرض كبيرة من نهر الفرات وحتى البحر الكبير ومن جبال الجولان إلى النيل الأزرق[٣٤]»

يحكي الكاتب اسحق بار يوسف قصة جندي شاب، يحقق مع أسرى وهو في غرفة العمليات، أثناء حرب الاستنزاف في منطقة غور الأردن، وذلك في كتابه «غرفة عمليات[٣٥]»

«أفضل شيء التحقيق معهم عندما يكونون مرتبكين من إطلاق النار، وعندما يرون رفاقهم يسقطون إلى جانبهم. . . مع كل الدم النازف[٣٦]»

ويكتب عن الصراع بين السلوك المدني والسلوك العسكري: «عبر جهاز اللاسلكي رفع قائد صوته ليسمع الجميع وقال له: إذا رأيتك مرة أخرى بثياب داخلية قبل وصول الدورية فسأطلق عليك النار بنفسي[٣٧]»

وعن الاستهتار بحياة الإنسان والاستعداد للتضحية:

«باستثناء شوشه، فإن أحداً لن يأسف إذا أصطدم هلفرين بلغم أو سقطت عليه قذيفة في أواسط الليل[٣٨]»

وهكذا يصف القائد العسكري:

«خاف هلفرين، لقد عرف، في دورية الصباح قرب الجدار وتحت الشقيف قرب نهر الأردن، إذا شاهد الجنود أي تحرك فعليهم أن يطلقوا النار مثل المجانين. . هلفرين يعرف الاعيب قائد اللواء : أوامر بعد الظهر، طاقم قيادي في الليل - إنه يريد أن يحدث شيء، ليطلق الرصاص وقذائف الانارة [٣٩]»

وفي فقرة أخرى :

«لقد أحب هذه الأوصاف في الجريدة، غيوم من الدخان تغطي السهل الوادع. حرائق على منحدرات الجبال. وفي الجانب الأردني من السهل تنتشر النيران من القذائف التي تطلقها مدافع الجيش الإسرائيلي على قواعد المخربين. نشاهد سيارات تنقل المصابين من مدينة الشونة، التي أفرغت من سكانها وبقي المخربون في بيوتها الخربة [٤٠]»

وهكذا يوصف التنفيس عن الغضب وحل الخلافات :

«رصاصة في الرأس، هذا هو، يطلق عليه رصاصة فتصيبه في رأسه، يدخل إلى مكتبه، يسحب العوزي : «وتشح»، قضي على قائد اللواء [٤١]»

من الكتب المعروفة التي تناولت الحروب، كتاب «مكشوفون على البرج»[٤٢] وبالرغم من أن الكتاب يحتوي في معظمه على سرد تفاصيل المعارك في سيناء وهضبة الجولان، ألاّ أنه لا يخلو من مصطلحات العسكرة.

في بدايته يتحدث الجنرال يسرائيل طال عن القومية وعلاقتها بالحروب :

«التميّز - العلم، الأمة، التقاليد القومية، هي التي تجلب الشر والحروب والقتل لهذا العالم، ولكن بما أن التميّز القومي هو سلوك هذا العالم، فعلينا أن نسلك وفقاً لذلك [٤٣]

يسرائيل طال - أحد الذين يمجدون الجيش والقوة، يتحدث بتبجح عن الحكمة العسكرية :

«سيدي البروفسور، هذه الجندية التي بالكاد تبلغ العشرين، فيها عقل أكثر مما تجده في قاعة الجامعة العبرية في حفل توزيع شهادات الدكتوراة، باختصار يا سيدي البروفسور إن هذه الجندية إذا دخلت إلى قسم الكيمياء الذي تشرف عليه فمن الأفضل أن تبدأ أنت بتعلم السواقة الآن»[٤٥]

«ولكن، أنا لم أكن تحت وطأة النيران منذ عشر سنوات، منذ حرب سيناء. . . لم أكن في

دبابة تطلق النار وتتلقى الضربات بشكل حقيقي [٤٦]»

عن الأعمال العدوانية على الحدود الشمالية والحرب ضد مشروع تحويل المياه في الجانب السوري، كتب ما كان معروفاً وهو أنه كان ممكن تفادي هذه الأعمال لو أن إسرائيل طبقت القوانين الدولية ولم تستفز السوريين :

« . . . . إن مشروع تحويل مياه نهر الأردن كان عملاً قانونياً وصحيحاً، فإن أعمال التحويل جرت على الأرض السورية، ولا تملك إسرائيل أي أدعاء حقيقي ضد هذه الأعمال السورية، مشروع التحويل كان رد فعل على المشروع القطري الإسرائيلي الذي يحوّل مياه نهر الأردن إلى النقب الصحراوي [٤٧]»

ويكتب عن قيمة حياة الجندي والإنسان :

«دون إكتراث للخسائر البشرية [٤٨]»

«إن كل ضابط في الجيش يمتنع عن تنفيذ مهمته، فحين يصاب معظم جنوده، أو على الأقل نصفهم، فسوف يبعد عن وظيفته»[٤٩]

أما قائد أركان الجيش في حينه، الجنرال موشي ديان، فقد كانت المصطلحات والجمل العسكرية تتردد كثيراً على لسانه ومن أشهرها : «نفضل شرم الشيخ بدون سلام على سلام بدون شرم الشيخ»- وهكذا يقول عن مخالفة أمر عسكري من شأنه إيقاع ضحايا عديدين :

«لم أقدر على التنكر لمشاعر التأييد التي أحسست بها عندما رأيت لواء المدرعات يدخل المعركة قبل إصدار الأوامر. يفضل مصارعة الجنود الأصيلة بهدف ردعها، على دفع الثيران التي ترفض التحرك [٥٠]

لقد كتب الكثير عن معاملة الأسرى (س. يزهار، دان بن أموتس، نتيفا بن يهودا، وآخرون) وفي كتاب «مكشوفون على البرج» هناك مثال على ذلك :

«غضب قائدالدبابة بالأساس بسبب المطرة التي وضعت بجانب العقيد (أسير مصري) . . أخذ المطرة من العقيد. . بعدها وصلت فرقة المشاة والمدرعات. . وعندما رأى أحد الضباط الأسرى غضب وقال : ما هكذا يجب التعامل مع البشر، واعطاهم الماء. . .»[٥١]

حرب الغفران

« . . . . غصون السرو في المساء
تذكر اسمك بلا جدوى، ونجمة الصباح الشاردة،
إلى أين توجّه جيشك، فهي لن تقوده . . .
إغمض عينيك، الآن تستطيع أن تموت
فأنا أب ثاكل فقد الاحساس
دموع الشتاء سوف تصليّ على روحك . . . . »

(باري حزات، «رب العالمين»)

يغئال ليف، يصف الحرب بحماس وإنفعال في كتابه «شمس سوداء – من يوميات ضابط مقاتل»[١]، إنه كتاب ضد الحرب – مثل كتابه السابق، ويصف الحرب بسوداوية شديدة ولكن فيها بعض التمجيد :

«معركة ليلية، كل من شاهد معركة ليلية يعرف ما فيها من روعة، المدافع تطلق الرصاص الأسود يرتفع وقنابل الفوسفور تشع والدخان الأسود يرتفع وقنابل الأنارة تنفجر، نعم – في الليل هناك روعة خاصة للحرب[٢].

وهكذا يكتب عن الفرحة بسقوط عربي، خلافاً للقول المأثور :

«لا تفرح حين يسقط عدوك» :

«وعندما هاجمنا – قتلت – وقفت وأطلقت وابلاً من الرصاص. شعرت أنها أصابته، أصابت العربي، لقد سقط، لم أكترث، بالعكس، فرحت»[٣]

ويضيف :

«لو أنني فكرت أن العربي إنسان ولا يجب قتله، كيف سننتصر؟»[٤]

في بداية كتاب يوفال نيريه «النار»[٥]، هناك وصف للتبجح الإسرائيلي العسكري الذي ساد بعد حرب حزيران ١٩٦٧ :

«لو سبق ذلك اليوم نقاش حول ضرورة الإستعراض العسكري، لكان تبدّد إزاء المناظر المهيبة : طائرات الفانتوم والميراج والالسكايهوك، فإن خريجي حرب الاستنزاف قد مزقوا السماء برعد حضورهم»[٦]

وهكذا يكتب عن تمجيد شارات ورموز الحرب والجيش :

«لقد تصاعد التصفيق وصرخات الانفعال، وبين الجمهور برزت شارات الحرب على ثياب المدنيين، فمن كان يملك شارة عسكرية، تدل على وحدة المظليين أو أنه كان قناصاً في الجيش، فقد علّقها على ثيابه في ذلك اليوم»[٧]. والنصب التذكارية تحوّلت إلى مزارات :

«بعد المراجعة العامة . . أشار عمير إلى تل وقال ليئير : انظر، هنا كانت معركة غير لازمة، ولكن حوّلوا هذا المكان إلى نصب تذكاري. فماذا يخلدون هنا؟ أحد الأخطاء الفادحة التي إرتكبها الجيش! [٨]

وعن الإستعراض العسكري الذي لا قيمة له :

إن تكاليف الاستعراض العسكري نفسها بدت له كاذبة وزائدة ووقحة»[٩]

وعن البطولة المبالغ فيها، يكتب :

«وقف أبوه إلى جانبه، صامتاً من الخوف، فلا أحد يجب أن يحدّثه عن الكذب بأن الجرحى لم يصرخوا، أنه يعرف أن الجرحى يصرخون [١٠]

ويكتب عن الحرب غير اللازمة التي اوقعت الكثير من الضحايا :

«أعتقدت أنك تعتبر هذه الحرب أمراً غير عادي، طبعاً كانت غير عادية. فلم تكن هناك حرب أوقع فيها السياسيون ضحايا من الجنود بهذا الشكل الذي لا لزوم له»[١١]

وعن نتائج الجنون العسكري :

«شعرنا أننا أقوياء، لكي ننتظر إلى الأبد، هذا كان أمراً عظيماً - أليس كذلك؟ صدقني يا دكتور - إن هذه البلاد مجنونة. . . [١٢]»

حاييم سبارتو، طالب في إحدى المدارس الدينية، كان قائد دبابة صغير السن، وهو يصف مع زميله في المدرسة المعارك الدامية في الجولان، بشكل شاعري وديني وذلك في كتاب

«تنسيق النوايا»[١٣]، الذي صدر بعد ٢٥ عاماً من الحرب.

يكتب المؤلف:

«المصريون يهاجمون من هذه الجهة، يشير باصبعه إلى اتجاه قناة السويس - ماذا تفعلون؟... إن عشرات الدبابات قد طوّقت الخندق... سأل أحد الجنود: «حقاً، ماذا نفعل؟... رفع ضابط أصبعه وقال: «هل أنتم قلقون؟ لا تقلقوا! هناك من يعرف، هناك من تستطيعون الإعتماد عليه[١٤]....»

في كتاب دان بن أموتس «الحرب الجميلة»[١٥] يحكي قصة جندي مقاتل في بير كفكفه في سيناء.

في القصة وصف لأعمال النهب والهدم كأمر عادي في الحرب:

«تبين، أنه في اليوم السابق اقتحموا بعض الحوانيت في رام الله، في أثناء منع التجوّل، ونهبوا أدوات كهربائية وآلات تصوير وقطع غيار للسيارات، وفي أحد المحلات التجارية حطموا خزنة فولاذية وسرقوا منها ستة آلاف دينار أردني، ومن حانوت للملابس سرقوا ملابس بقيمة آلاف الليرات...[١٦]»

«الجائزة العلنية أو المخفية، لكل الجنود الذين شاركوا في الحرب كان دائماً، النهب والسرقة والهدم وفي بعض الأحيان عملية صغيرة...[١٧]»

حرب لبنان :

«الجريح الأول ضمّدته
بدهشة يائسة
بعدها جاء آخرون
بعدها جاء آخرون
بعدها جاء آخرون. . . وآخرون. . . وآخرون
ضغطت على لحمه
بيد راجفة
وبهدوء
ضمّدت الموت
من ثوبه .
بعدها لم يصرخ
وكان شجاعاً أيضاً
تنحنح بصمت
بعدها صرخ من شدّة الألم
بعدها جاء آخرون وآخرون
وآخرون

(يوئاف بورات، «الجريح الأول»)

كتاب زئيف شيف وايهود يعاري «حرب الضلال»[1] . هو من أدبيات الحرب وفيه يصف المؤلفان بالتفصيل حرب لبنان، ما سبقها وما تلاها، الكتاب مليء بالأوصاف والتعابير العسكرية على المستوى العسكري والمستويين الحكومي والمدني .

أريئيل شارون وزيراً للأمن ورفائيل ايتان، قائداً للأركان، جرّا الحكومة إلى حرب زائدة :

«عندما كان نائباً لوزير الأمن حذّر مردخاي تسيبوري وزير الأمن عيزر وايزمان ومناحيم بيغن من وضع يجر فيه قائد الأركان رفائيل ايتان وقائد المنطقة الوسطى في حينه بن غال – دولة إسرائيل إلى حرب ليست ضرورية في الشمال.

في الخامس من حزيران كان مقتنعاً أن هذه هي وجهة شارون، وأنه وجد لغة مشتركة بهذا الشأن مع قائد الأركان [٢]»إن عملية اتخاذ القرارات متأثرة من جهة بروح العسكرة والانتهازية من جهة أخرى :

«في الثامن والعشرين من شهر أيار ١٩٨١ أقرّ بيغن اقتراح رفائيل ايتان تجديد الهجوم على منظمة التحرير في لبنان. كان القصد التصعيد المحدّد... ومن عارض في هذه المرحلة مضاعفة القصف كان أريك شارون وزير الزراعة في حينه... وقد أثيرت التساؤلات حول دوافعه «الحمائمية» :

سكرتير الحكومة، ارييه نافرور، عقب على ذلك أمام الوزيرين ايرليخ وبورغ بقوله : إن أريك يعارض مضاعفة القصف لأنه يخشى أن يشن بيغن حرباً ضد منظمة التحرير وينتصر فيها. وعندها من سيسأل عن شارون؟ غداة تعيينه وزيراً للأمن سوف يغير أفكاره [٣].

اعتبرت هذه الحرب أنها موجهة ضد «المخربين»، واستعمل فيها الجيش أسلحة متطوّرة جداً، وكانت النتيجة رهيبة بالنسبة للمدنيين اللبنانيين :

«بالرغم من الحذر الشديد في تحديد الأهداف والإصابات المباشرة، فقد أكثر من مائة شخص وجرح حوالي ستمائة... ثلاثون فقط من القتلى هم «مخرّبون»[٤]

يكتب المؤلفان عن التضليل : في هذه الحرب، ما يلي :

«لقد انكشفت الحقيقة، أوضح شارون أن حربه تشمل بيروت ويجب طرد السوريين من لبنان... لم تسمع الحكومة هذه الأقوال إلى الوزراء حتى بعد بداية الحرب، لقد نقلت إليهم أقوالاً معاكسة»[٥].

ويضيف المؤلفان :

«منذ وصل شارون إلى وزارة الأمن وتسلّم مسؤولية الجيش باسم الحكومة، أعتقد كثيرون إن ساعة الحرب بدأت تتكتك. كل شيء وجد لهذا الهدف.. كل الذين كانوا حوله، من

رجال جيش ومدنيين، لاءموا أنفسهم مع متطلباته، ولذلك فمن الأفضل الانخراط في الاستعدادات وعدم البقاء خارج المعسكر : أن تتعاون ولا أن تكون منبوذاً. هذا هو المناخ الذي ساد»[٦]

وعن استمرار التضليل :

«حكومة إسرائيل لم تقر الدخول إلى بيروت. لقد دخل الجيش الإسرائيلي إلى عاصمة عربية دون أن تحدد الحكومة هذا الهدف، وخلافاً لما صرح به وزير الأمن أمام الوزراء. إلا أن مسألة بيروت هي المثال على تحويل حرب سلامة الجليل إلى حرب تضليل. من الدفاع عن مستوطنات الجليل إلى احتلال عاصمة عربية»[٧]

وفي فقرة أخرى يقول الجنرال موطا غور لاريئيل شارون في جلسة لجنة الخارجية والأمن :

«لقد سحبت الحكومة من انفها، كانت لك أهداف حددتها مسبقاً ولم تكشف عنها للوزراء»[٨].

وكتب الضابط إيلي غباع إلى قائد الأركان رفائيل ايتان في المعركة على بيروت :

«هذه المعركة ليست لنا. . .

يجب ألاّ نتدخل في الشؤون الداخلية اللبنانية، لا يحق لنا أن نفرض ذلك بثمن باهظ سندفعه نحن والسكان المدنيون»[٩].

«إن اقتحام بيروت يعني قتل عائلات، وربما لهذا السبب لن يجرؤ عرب الضفة الغربية أو الناصرة على التحدث معنا»[١٠].

أثارت المعركة على بيروت جدلاً حول تبرير الحرب مقابل عسكرتها :

«في بيروت واجهنا «مأزقاً» أخلاقيا عميقاً وليس له حل. . . تخبط بشأن الحفاظ على طهارة السلاح. . شيئاً فشيئاً يختلط الوضع بين إطلاق النار على مخربين وبين قصف الأحياء المدنية. . القتلى غربي المدينة تحت الأنقاض، عمقوا الجدل في مواقع الجيش [١١]

حرب بيروت تسببت بارتكاب فضائع بتخطيط مسبق :

«في تلك الظروف لم يكن بالمستطاع تفادي وقوع إصابات شديدة ضد المدنيين، أضف إلى ذلك أن شارون يعتقد بأن هناك حسنات للضغط المباشر على سكان المدينة اللبنانية. . .

لقد أطلق النار على بنايات مأهولة بالسكان المدنيين وعليها غسيل لملابس أطفال . . . [١٢]»

إن المساعي الدولية ومشاهد مروّعة للمذبحة وصلت إلى الجنود الإسرائيليين، لم تساعد في وقف هذه المذبحة :

«عليك وقف هذه المذبحة، أنها مروعة، لدي مندوب في المخيم وهو يقوم بعدّ الجثث، أخجل، الأمر مريع، إنهم يقتلون الأطفال. أنتم تسيطرون سيطرة تامة على المنطقة ولذلك فإنكم تتحملون المسؤولية كاملة [١٣]»

يصل المؤلفان إلى نتيجة إنه نتيجة لتعميق الروح العسكرية، قام شارون «بانقلاب» عسكري :

«مع اقتراب الحرب وخلال الأشهر الأولى وقع في إسرائيل ما يشبه «الانقلاب العسكري» الفريد من نوعه، انقلاب حوّل حسم القرارات إلى أيدي وزير الأمن»[١٤].

«بدلاً من القيام بمحاولة السيطرة على المؤسسات ذات القرارات أو إلغائها، كما هو متبع في الانقلابات المعهودة، فإن شارون قد صاغ معادلة حوّلت إليه عملية اتخاذ القرارات. لقد انتزع من المؤسسات الديمقراطية القدرة على الرقابة والتفتيش وأضعف الكابح الثابت في جهاز الحكم»[١٥]

في كتابه «في كل مرة يحب»[١٦] يستعرض الكاتب دان شفيط القصة الشخصية لضابط شاب باسم أرازي، أثناء حرب لبنان، يكتب :

«كان يجب القيام بدوريات في المنطقة وبين القرى لكي لا يقدر «العربوشيم» على رفع رؤوسهم من بين الثقوب . . . [١٧]

وهكذا يكتب عن عملية تطهير تنتهي بقتل فتى :

«قامت الكتيبة بعملية تطهير في إحدى القرى . . . تقدمتهم مجموعة من الجنود . . . وقفوا عند ثقب، بصقوا وشتموا . . . فجأة قفز شخص من خرابة مهجورة . . . شبح فتى سخيف قفز وصار يركض . . كان على أرنون الضابط أن يقوم بعمل ما، أن يصدر الأوامر بإطلاق النار، أطلق هو النار في اتجاه القدمين، سقط الشبح صار يتلوى ويطلق صرخات تمزق القلب . .

يجب قمع كل حركة . . . كان البطن مفغوراً . . . رحميم لم يدقق في الإصابة . . . »[١٨]

يكتب عوزي بنزيمان عن شخصية شارون في كتابه : «إنه لا يقف عند الشارة الحمراء : سيرة أريك شارون»[١٩]، شارون الذي شارك في جميع الحروب منذ شبابه :

«الخدمة العسكرية تلبي الرغبات الدفينة والاحتياجات النفسية لأريك شارون، نشاطه في الجيش الإسرائيلي أطلق العنان لمواهبه الطبيعية التي كانت كامنة في شخصيته ومنحته الفرصة للوصول إلى مكانة مرموقة ولأن يفرغ بشكل شرعي مشاعره العدوانية المكتنزة فيه منذ طفولته [٢٠]

ويضيف الكاتب :

«لقد صارع الجندي الذي هدّده، وضربه ضرباً مبرحاً وبهذا فرض هيبته على جنود الكتيبة [٢١].

ويكتب عن قتل المدنيين وعدم المحافظة على «طهارة السلاح» :

«النساء من القرية العربية قطنه، كنّ بملأن جرارهن من البئر، عملياً كن يقطعن الحدود ويعتدين على السيارة الإسرائيلية . . . لكي يصحح هذا الخطأ فقد أمر أريك شارون بنصب كمين هدفه إطلاق النار على النساء . . . أمر شارون ضباطه ألا يقوموا بتعميم خطته . . . لكي لا تصل إلى قيادة المنطقة الوسطى أو قيادة الأركان . . خرج أربعة ضباط في الليل وقتلوا امرأتين من سكان القرية خرجتا لجلب الماء . . لقد أوقفت العملية بعد تدخل مراقبي الأمم المتحدة»[٢٢]

ويكتب أيضاً عن مغامرات شارون :

«بدون أي سبب أو مبرّر أراد أن يشعل النار على الحدود الإسرائيلية الأردنية . إن مبادرته للمسّ بالنساء القرويات لم تنجم عن حاجة أمنية حقيقية، وإنما كانت نتيجة لنزعة مغامرة»[٢٣]

ويكتب بنز يمان عن استهتار شارون بالسلطات المدنية والوزراء الذين عارضوه :

« . . . . كان يبدأ حديثه بوابل من الشتائم والتشهير بقيادة الجيش العليا والحكومة، لم يكن ذلك أمراً استثنائياً»، بل كان ظاهرة ثابتة . . . كان يصفهم بأقبح الأوصاف ويصف سلوكهم الجنسي كما كان يتخيله . . . [٢٤] وأما عن أعمال الانتقام والقتل التي قام بها دون أي

رادع خلف الحدود، فيكتب بنز يمان :

«اقتحم أفراد الفرقة (١٠١) خيمة بدوية (العزازمة) خلال ساعات النهار وهم يطلقون النار بكل الاتجاهات . . قبضوا على أسلحة وحرقوا الخيم . . . وفي أثناء ملاحقة البدو دخلت الفرقة إلى المنطقة الحرام (نيشانا - عوجا الحفيد) [٢٥]

«حسب التخطيط كان على المقاتلين أن يقتلوا العديد من سكان مخيم البرج في غزة، خمسة عشر قتيلاً، بينهم نساء وأطفال . . النساء هن مومسات في خدمة المتسللين العرب [٢٦]»

وهكذا يكتب بنز يمان عن مذبحة قبية :

في مذبحة قبية قتل ٦٩ شخصاً، نصفهم من النساء والأطفال، فجّر جنود أريك شارون ٤٥ بيتاً اختبأ فيها سكان القرية الذين أصيبوا بالهلع . لم يولوا اهتماما كافياً لإمكانية وجود سكان في البيوت المستهدفة للتفجير . . . استغل أريك شارون كون القيادة العامة لم تحذرّه بشكل واضح من المسّ بالمواطنين المدنيين، ولذلك لم يهتم بما في داخل البيوت التي فجّرت . . . [٢٧]

«اقتحموا بناية الشرطة العسكرية في طبريا والقوا القبض على الجنود الثلاثة الذين قاموا بتعذيب زميلهم . أوقفوا الثلاثة أمام جدار وقام أحد أفراد الفرقة ١٠١ بضربهم بالعصا»[٢٩] .

ويكتب عن نزعته الانتقامية :

«مجموعة من المقاتلين بقيادة مئير هار تصيون خرجت في الليلة ما بين الرابع والخامس من آذار ١٩٥٥ للثأر لقتل أخت هار تصيون، والتي قتلها عرب هي وصديقتها، عندما قطعتا الحدود إلى الأردن، قبضت المجموعة على خمسة من البدو وقاموا بذبحهم في أعناقهم»[٣٠] أفراد الفرقة ١٠١ كانوا متعطشين للقتل وكانوا يتهمون القيادة السياسية أنها لا تمنحهم حرية العمل :

«في كل مرة كنت تقترح عملية انتقام كان رئيس الحكومة يرفضها (موشي شاريت في حينه) في وحدة المظليين تسود روح اليأس والغضب وهو يتحول إلى ثكنة تحريض ضد النظام المدني [٣١]»

«لقد عرفوا إنهم في بعض الأحيان تسلموا أوامر من قيادة الجيش بأن يتصرفوا بشكل

استفزازي قرب الحدود الإسرائيلية المصرية لخلق مواجهة تأتي في أعقابها عملية هجومية خطط لها أريك شارون»[٣٢] «كانوا يطلقون على أريك شارون لقب «مقاول عمليات» وبهذا عبّروا عن تقديرهم أنه الوكيل الأفضل لمجموعتهم التي تؤيد التحرك العسكري»[٣٣] أريك شارون يوبخ أحد زملائه لأنه لم يقتل مدنيين، وهو بنفسه يقود عملية هدم بيوت وقطع أشجار وتشريد «في أثناء الهجمة على شرطة حوسان، لم يتردد في توبيخ ديفيد بن عوزيئيل، أحد قادة المظليين لأنه لم ينفذ أمراً بقتل عجوزين عربيين اختبئا في براكية في إحدى البيارات. . أصغى أريك إلى أقوال مئير هار تصيون الذي اعتذر لساعة طويلة أمام أصدقائه عن قتل صبية سورية بطريق الخطأ. . . [٣٤]»

«يجب تزويد الجنود بالهراوات لضرب المواطنين الذين يتباطأون بالمثول في طابور التشخيص. . هذه العملية (غزة ١٩٧٠) تسببت بهدم آلاف البيوت وقطع أشجار بيارات عديدة. . . [٣٥]

وفي مكان آخر وفترة أخرى :

«تم إخلاء آلاف البدو من مشارف رفح وهدمت البيوت وسيجت مناطق واسعة وهدمت آبار للمياه ومزروعات. . [٣٦]»

وعن مذبحة صبرا وشاتيلا :

«اكتشفت لجنة كاهان (لجنة التحقيق في مجزرة صبرا وشاتيلا) أن قوات الكتائب دخلت إلى مخيمي صبرا وشاتيلا بمعرفة وموافقة الجيش الإسرائيلي وبالتنسيق معه، وأن وحدات إسرائيلية تواجدت قرب المنطقة عندما قتل رجال الكتائب مواطني المخيمين، لم يرد أريك شارون ورفائيل ايتان بالسرعة اللازمة عندما علما بوقوع المذبحة. . . [٣٧]»

ويكتب عن هدم مدينة يميت الذي حال دون إمكانية توطين اللاجئين :

«القرار بهدم مدينة يميت جاء استجابة لرغبات غوش ايمونيم. . . [٣٨]

الحرب التي أعقبت الحرب...

«نحن الجنود الرماديون ذوو الأيادي السوداء
الحرب
ذوو الأنوف المستنشقة الموت والألسن المثقوبة
الوطن
هذا هو الاسم الذي نطلقه على حبكن لأن هناك عتبة نصل إليها في نهاية كل دم.
بجثثنا سنصل أو بدونها . . .
سنصل! لأننا لأجلها سفكنا دماً كثيراً!
دم الأصدقاء ودم الأعداء
وبالدم كتبنا الحرب - كتاباً وحشياً - الأيام»

(ع. هليل، «أقوال الجنود الرماديين»)

أور سفيباك هو كاتب شاب يصف خدمته العسكرية في وحدة «جولاني» دون أية مواربة، وقد يصبح كتابه «لمن جولاني» من أهم الكتب التي يقرأها الشبان قبل تجندهم[١] في الجيش. إن روح العسكرة تتغلغل إلى نفوس الطلاب بواسطة جهاز التعليم، الدورات العسكرية المدرسية، وسائل الإعلام، وأوامر التجنيد، عمليات، هذا جزء من عملية البلوغ :

«عندما كنت في السادسة عشرة لم أعرف شيئاً عن الجيش لذلك قررت أن أصبح مقاتلاً[٢] إن الاستمارة التي يرسلها لك الجيش للمثول لتقديم امتحان تشبه العادة الشهرية أو الاستمناء الأول، إنها رمز البلوغ»[٣]

«كل النصوص لفحص فهم المقروء والتي قدّمت لنا كانت مرتبطة بالحياة العسكرية، وكذلك في امتحان الحساب ضربوا وجمعوا وضاعفوا صواريخ فقط أو ذخيرة»[٤]

يصل الشاب إلى استنتاج فظيع :

«إذا كان كل عالمك هو الجيش وأنت لا تصلح للجيش، فإنك لا تصلح لأي شيء»[٥]

أما بالنسبة للمستوطنين، فإن الروح العسكرية تسري في دمائهم بسبب ظروف حياتهم في منطقة محتلة وسكان تحت الاحتلال :

«أمر بشع، يكفي أن تراقب اهتمام الأطفال أبناء السادسة والسابعة (أبناء المستوطنين في الخليل) في قطع السلاح التي يعرفون كيف يفككونها ويركبونها . . . »[٦]

كتب حنان شتاينهرت كتاباً خيالياً ولكنه ليس منزوعاً من الواقع الهلامي الذي نعيشه. ففي كتابه «كوكوش كوكوش»[٧] يخلط بين الخيال والواقع المخيف. في قصة رمزية ربما أسوأ منها، إنها كارثة من الآن وصاعداً.

«كوكوش كوكوش» هو مصطلح هنغاري يعني الروح القتالية في الديك، وموهبته في خلق مناوشات لمجرد المناوشة لينشغل بها باستمتاع، إنه مثل الكاتب آور سفيباك، يعتقد أن مصدر الشر يكمن في التربية على العسكرية لدى أطفال المستوطنين:

«إن مسؤولية وقوع الحدث المأساوي الذي يصل إلى حد الجريمة الكبرى فيما يتعلق بالأطفال، هذه المسؤولية تقع على عاتق قيادة المستوطنين والحاخامين. . لتتخذ الإجراءات ضد أولئك الذين كانوا السبب المباشر أو غير المباشر لهذا العمل الذي أصاب هؤلاء الأطفال. . .[٨]

إنه يصف انقلاباً عسكرياً، كحدث واقعي :

«في الساعة الثامنة وخمس وأربعين دقيقة، قدّمت محطة السي. إن. إن موجزاً للأخبار تظهر فيه عشر طائرات هليوكوبتر تهبط في ساحة الكنيست (البرلمان الإسرائيلي) ويخرج منها مقاتلون مجهّزون بعتاد عسكري كامل وينتشرون حول مبنى الكنيست[٩].

الانقلاب قد يبدأ بهجوم يقوم به جنود متدينون أو من ذوي المواقف السياسية اليمينية المتطرفة، على خلفية إخلاء مستوطنات :

«استنفر أمير مع كتيبته البحرية هذا الصباح لكي يدافع عن الديمقراطية أمام مؤامرة عسكرية قام بها جنود متدينون هربوا من الجيش»[١٠]

«يظهر في الصور التي التقطت من الجو في نفس الليلة في قاعدة لسلاح الجو ونقلت إلى الاستخبارات العسكرية، إن حوالي خمسة آلاف جندي بلباسهم العسكري، تواجدوا بين

عشرات ألوف المشاركين في اجتماع ديني على جبل الزيتون وكان معظمهم يحمل السلاح، متجاهلين الأوامر العسكرية التي صدرت في ذلك اليوم»[١١]

ويكتب عن تسييس الجيش :

«قال قائد الأركان بعد صمت : سيدي الوزير، لقد قطع الجيش طريقاً طويلة منذ بدأت عملية تدخله في السياسة بشكل عام وبعملية السلاح بشكل خاص»[١٢]

«الجيش الإسرائيلي هو أسطورة قومية ثمينة . . . لقد كان الجيش تجسيداً لشبابهم الذي انتهى، إنه خليط من العنترية . . ، يستشم منه رائحة :

GOOD OLD DAYS "إنه منقطع إلى حد ما عن جوهره الحقيقي كجيش، هو جهاز ضروري من القوّة هدفه فقط المحافظة على وجود الدولة[١٣] . . ؟ "

انقلاب عسكري تقوم به جماعة «أرض إسرائيل» في دولة إسرائيل وضد حكومتها الشرعية :

«أدعو كل من تعز عليه دولة إسرائيل، الجنود والمواطنين الشرطة والحرامية، المتدينين والعلمانيين، أن يجمعوا أشياءهم الشخصية وأن يأخذوا السلاح من كل مصدر وأن يصلوا هذه الليلة سيراً على الأقدام إلى أريئيل وعندما يصلون إلى المنطقة سوف يدلّهم رجالنا على الطريق . . .[١٤]»

نتيجة الانقلاب هي أن يتحول الجيش الإسرائيلي إلى سياسي ايديولوجي :

«لم يستصعب المراسل النشيط الحصول على رد من أحد الجنود الذي قام بجهد بسيط لإخفاء وجهه : إن أهلي واخوتي يسكنون هنا، هل تعتقد أن بإمكاني التخلّي عنهم تحت رحمة حكومة فلسطين أو حكومة إسرائيل»؟[١٥]

الصحافية عميرة هاس، في كتابها «أن تشرب من بحر غزة»[١٦] تحلل المجتمع الفلسطيني على كافة اتجاهاته وأحزابه، موجهة نقداً شديداً إليها وإلى الاحتلال الإسرائيلي، الانتفاضة ونتائجها العنيفة في السنوات من ١٩٩٣ - ١٩٩٦، وهي تقدم العديد من الأمثلة عن تأثير النزعة العسكرية على المجتمع بشكل عام والجنود بشكل خاص :

«يبدو أن ذلك كان نضالاً ضد عجز القوة العسكرية الإسرائيلية، إنه انتفاضة ضد الاذلال

الدائم الذي يعاني منه شعب تحت الاحتلال، الغضب الناجم عن قتل الأصدقاء، والأطفال الذين قلعت عيونهم بالرصاص المطاطي والأهل الذين ضربوا وأهينوا أمام نواظر أبنائهم. . . لا يمكن لهؤلاء أن ينسوا ما يمثله كل جندي. . . »[١٧]

وتكتب أيضاً عن حالة التبهم واللامبالاة نتيجة الاحتلال :

«ولكن بالنسبة إلى يغئال (عمير) في جباليا كان يقطع حبال الغسيل في البيوت. . لقد أخذ بندقية وقطع حبال الغسيل وطلب من الجميع أن يتعلموا منه. . . [١٨]»

وهكذا تصف سلوك قوات الاحتلال :

«البحث عن مطلوبين، كانت الطريقة متشابهة :

قوة كبيرة من الجنود يرافقهم ضابط أو اثنان من «الشاباك» يقتحمون البيوت بعد منتصف الليل، وفي أحيان في ساعات النهار، ويطلقون النار بكثافة ويحطمون الخزائن ويبعثرون كل محتوياتها ويطلقون النار على جدران البيوت في مخيم اللاجئين ويمزقون الفراش ويحطمون أجهزة التلفزيون والراديو والكرسي والأسّرة والمرايا ويقطعون أسلاك الهواتف بغضب وحقد»[١٩]

«على سطح بيت قريب، تمركزت قوّة من الجيش. . استفزاز الناس، تحطيم خزانات المياه، قضاء حاجاتهم على الدرج والسطح، وإثارة الصخب. . . [٢٠]»

وتعود عميرة هاس إلى التشريد (عام ١٩٤٨) :

«كل قرى الجنوب، هرب سكانها فقط عندما هوجمت قرية مجاورة (بعد مذبحة دير ياسين في نيسان ١٩٤٨) عادة، لم يترك المعتدون أي شك في أنهم ينوون تشريد كل سكان القرية وفي مرات عديدة كان ينفذ التشريد. . [٢١].

وتكتب عن وسائل التعذيب :

«أربعة ضباط من الشاباك يجبرون المعتقل على الاستلقاء على ظهره، أحدهم يقفز على رجليه والثاني على صدره، والثالث على عضوه التناسلي ، والرابع يغلق فمه وأنفه بيديه ليسد مجرى التنفس.

وأحدهم يراقب الوقت الذي يمضي وربما يكون هناك طبيب. . . بعد ذلك يغطون رأس

المعتقل بكيس نتن . . يمضي أياماً دون أن ينام ودون طعام ودون السماح له بالوصول إلى المراحيض . .

وكل ذلك مصحوب بإذلال نفسي (في مرحلة التحقيق)، عندما نطلق سراحك لن تكون رجلاً، لن تنجب أطفالاً، سنأتي إلى زوجتك وأمك ونغتصبهما أمام ناظرك . . [٢٢]

يصف بوعز نويمان في كتابه «جندي طيب»[٢٣]، بلا مواربة ولا تجميل هذا الجيش وجنوده والأعمال التي يمارسونها . أبطال الكتاب هم جنود فرقة جولاني الذين يقطعون مسارات عسكرية مختلفة، ثم يرسلون للقيام بمهمات عسكرية في المناطق المحتلة . اسم الجندي المقاتل هو البطل :

«لم أرد أن أخدم ألاّ مقاتلاً . أن لا تكون مقاتلاً هذا أمر مهين، ولن توافق أية فتاة على مصاحبتك، أن لا تكون مقاتلاً يعني أن تكون شخصاً مشكوكاً بأمره، والأفضل أن تكون عدواً [٢٤]»

«إن الصديق المنتمي إلى فرقة جولاني هو صديق مدى الحياة . مسار جولاني هو الأصعب، ولكن من ينجح في اجتيازه فهو مقاتل في جولاني . والفتيات يقدرن ذلك . . . جنود جولاني يحظون بالفتيات ذوات المظهر الجنسي الأقوى . . [٢٥]

ويكتب نويمان عن اهداف التجنيد :

«لقد تجندت لأنني أردت أن احمل بندقية . لكي أتباهى أمام أصدقائي، البندقية مثل أي قطعة في «الموضة» : ملابس الجينز، القمصان، الساعات، العطور، والبندقية . . [٢٦]»

العنترية الإسرائيلية، يتم التعبير عنها بالتقدير (والكراهية أيضاً) اللامحدود للقيادة :

«مع بداية التجند بدأ التقدير الأعمى للقادة العسكريين - لم يكن هناك سبب حقيقي لتقديرهم، إنهم ليسوا جميلين مثل عارضي الأزياء وليسوا حازمين مثل ممثلي السينما، مع أنهم يحاولون أن يكونوا كذلك بكل وسيلة ممكنة، نظارات شمسية ووقفة منتصبة . . . لم يكونوا أذكياء بشكل مميّز . . [٢٧]»

وعن طقوس تسليم السلاح وما فيها من سخافة :

«ألا تعتقد أنه أمر سخيف إنهم أخذوا منا السلاح قبل ساعتين والآن يريدون إعادته إلينا؟ سأل يفتاح ، وأجبت : هذه هي الفكرة ما وراء هذه الطقوس ، من يريد مثل هذه الطقوس؟ إنها مظاهر فاشية . . . [٢٨]

وما يثيره تسلّم السلاح من أفكار خطيرة :

«الفكرة الوحيدة التي اشغلتني هي أنني أستطيع قتل كل واحد . . . أستطيع قتل يفتاح . . أستطيع قتل أمي . . . أستطيع أن أوقف شخصاً في الشارع بلا سبب . . أفكر بالسلاح أنه أمر سيئ»[٢٩]

الجندي يفقد إنسانيته :

«في أكثر من محادثة كنا نشبه حالنا بحال الأسرى . سلبت منا حقوق اعتدنا عليها ولم نسيطر على حياتنا اليومية . . [٣٠]

القادة العسكريون يصورون عادة بشكل سلبي ، متغطرسون ومازوخيون :

في الأسبوع الأول كان هناك من وصف الضباط بأنهم نازيون ، لقد كانوا شريرين ، عذبونا ، وتعاملوا معنا كأننا أغراض تمشي على قدمين . هكذا على الأقل كنا نشعر»[٣١] نحن في وسط الصحراء . مجموعات من العدو تقطع الحدود يومياً . كان بإمكانها أن تجد جميع أفراد الفرقة نائمين . كان بإمكانهم أن يقطعوا أعضاء جميع الجنود . . صديقكم الذي يقف أمامكم ليس صديقكم ، لا يستحق أن يكون جندياً في الجيش الإسرائيلي . قائد الفرقة توجه إلى عيران أخذ منه البندقية والحزام والقى بهما على الأرض ، هذا الموقف ذكرني بطقوس الإهانة التي تعرّض لها درايفوس . . . [٣٢]»

على مدى صفحات الكتاب هناك جمل عنصرية ، ضد العرب :

«ليس هناك ما يمكن أن نفعله ، وكيفما نظرتم إلى الأمر ، هكذا يتصرف العرب الجبناء . . . [٣٣]

«الأم العربية لا يهمها إذا قتل ابنها في الحرب ، بالعكس ، الأمهات العربيات يفرحن عندما يقتل أولادهن في الحرب [٣٤]»

«لا أحد ينفعل ، هذا هو مكان عملي ، أبي يعمل في البنك وأمي تعمل في المدرسة ، وأنا

أعمل في الجيش، لدي بندقية، لدي دبابة، هذه هي مهنتي [٣٥]»

«رباني الضابط على الاستعداد للحرب، انتظارها، والخوف منها ومع ذلك التشوّق إليها، من ناحية الجندي فالسلام هو فضيحة»[٣٦]»

وفي مقطع آخر يكتب أيضاً على الصورة المقولبة للمرأة العربية :

«لا يجوز أن تصفّر لامرأة في الشارع»

هذا لن يحدث لأن كل الفلسطينيات قبيحات، فمن سيصفّر لهن؟ لجميعهن شوارب. . . ممنوع غمز النساء. . . لا تقلق، هذا لن يحدث، لا يوجد فلسطينيات يغوين لممارسة الجنس»[٣٧]

وصف الأعمال التي مارسها الجيش في حي الشيخ رضوان ومخيم الشاطئ في غزة، تؤكد بشكل سافر على التعذيب والسلوك العسكري للجنود الإسرائيلي :

«أنا لا أفهم لماذا يجب أن نقوم بذلك، ما الفائدة؟ أن تأتي إليهم في الثانية بعد منتصف الليل وتوقظهم؟ فهذا لن يغيّر شيئاً. إنهم سيكرهوننا أكثر. أنت توقظهم في الثانية ليلاً وبعد ذلك تستغرب لأن أحد أطفال العائلة يقرر أن يصبح ملثماً. . . لماذا نفعل ذلك؟ هذا غباء. . يجب أن نتركهم لوحدهم إننا نضايقهم أكثر من اللزوم. . . [٣٨]»

الخدمة في المناطق المحتلة ونتائجها، تلخص هذا الكتاب :

«أنا لا أفهم ماذا نفعل في المناطق المحتلة. يجب أن نخرج من هناك، إننا نضطهد شعباً :

في التاريخ لم تنجح أية محاولة في قمع رغبة قومية، نحن لن نكون حالة استثنائية. في نهاية الأمر لن يكون أمامنا إلاّ الانسحاب من المناطق المحتلة. السؤال هو : متى؟. ما دمنا هناك فسيزداد العنف، وسيقتل المزيد من الناس وتقلّ إمكانية تحقيق السلام [٣٩]»

وحول الموقف من الجيش، يلخص الكتاب :

«ما يشغل الجيش هو الموت، ولكنه لا يعترف بذلك. لا يوجد جندي ميت، هناك جندي لم يسلك حسب التعليمات»[٤٠]

حاجاي لينك في كتابه «يحكي الموت. .»[٤١] يتحدث عن الحرب «كهدية» للجندي في يوم تسريحه من الخدمة : «التدريب كان بطاقة دخول إلى عملية معقدة كان يعد لها منذ وقت

طويل، وهو ممكن أن يكون هدية طيبة للجندي قبل تسريحه من الخدمة»[٤٢]

وعن شخصية العدو :

«الأفعى، شعار سلاح المظليين الذي يعلقه الجنود على أكتافهم، ليس الأفعى السامة كما يطلقون على عرفات . . [٤٣]

وفي فقرة أخرى :

«خلافاً للمسلمين الذين هم حيوانات وكل ما في رؤوسهم هو الجنس وكيفية الإلقاء بنا في البحر . . . وبالطبع سوف نحطم ونكسر بأيدينا الطويلة هذه الحية ذات الألف رأس . . [٤٤]»

وأما عن شخصية الجندي وتبرير حروبه، فيكتب :

«لقد فاجأنا أنه عندما نزل على شاطئ العدو، شعر بانتعاش ورغبة في الاحتلال، كان متعطشاً للدم» . . «هل بقي فيك شيء من رجال الهون (قبائل اوروبية) الذين اغتصبوا والدة جدتك؟ . . إذا كانت الضحية تستوعب أيضاً الجريمة، فأين طقوس الذكرى تخلدها، إنه أمر منطقي أن يتعلم الناجون أمراً أو اثنين من المجرمين .

ويستحيل أن نكون مشابهين لهم - فنخبئ كل شيء في المخزن، وسيكون عادلاً ولا مجال للاختيار[٤٥]

إن طهارة السلاح التي لم تطبق تجد لها مثالاً في الكتاب من خلال معاملة راع القي القبض عليه :

«بعد أن انتهوا من عملهم، التقوا راعي غنم . . . ربطوا يديه وعصبوا عينيه . . . حاول الهرب عند الوصول إلى الماء . . . قال الضابط : يجب القضاء عليه، وقف قريباً - لقد انطلق من دون تخطيط أو تفكير . . . أعتقد أن هذا ما ينتظرونه منه فقفز الأول وضرب الراعي بقصب البندقية ثلاث مرات على رأسه . . . فرفر مرة أو مرتين ثم القوا به في البحر . .»[٤٦]

هكذا يلقنون طلاب الثاني عشر قبل وصولهم إلى الجيش، أساطير وقصصاً كاذبة ليحمسوهم وليثيروا فيهم مشاعر القوة والعسكرة :

«كان يغير في قصص البطولة كما يشاء، وحتى الزمان والمكان . مرة كانوا كثيرين مقابل

قليلين، ومرة كثيرين مقابل لا أحد. . وبالغ في إحدى المرات وقال أنهم حاربوا ضد الروس الذين تنكروا بلباس عربي. وكان يغيّر النهاية أيضاً، ودون أي إعداد مسبق كما خطر على باله في تلك اللحظة. أحياناً كان يدخل في القصة امرأة وفي أحيان أخرى يضع كلمات على ألسن الأبطال. . . [٤٧]»

في رسالة أب ثاكل، قتل ابنه الجندي بنيران الجيش الإسرائيلي، إلى قائد الوحدة نجد إدانة صادقة لهذه التربية على العسكرة :

«لقد قتل ابني في خانة كبش الفداء، كان كبش فداء لقوى أعظم منه، فرضت عليه بواسطة تعميم ذاكرة مشوّهة. . . إلى أن صار أبناء الشبيبة يعتقدون أن حمل السلاح هو أمر طبيعي. . . وتخليد موت الشباب. . .

يحافظون على حضور يومي للموت. . . إننا نعتبر موت الشاب، الذي يمر سريعاً أمراً أصيلاً، نحن شعب يجيد بناء التوابيت.

إن ابني هو ضحية الفكر الذي يفيد بأن القوة قادرة على تحقيق العجائب. . . [٤٨]»

خـاتمـــة :

هناك أهمية كبرى في الأدب للمغازي الاجتماعية بشكل عام - والعسكرة بشكل خاص، وبالذات حين يجري الحديث عن أدب الأطفال، الذي يشكل «مؤسسة» تربوية وجزءاً من عملية بلورة وعي الطفل الاجتماعي الذي لم يتبلور بعد.

ولكن يجب الحذر من المبالغة في أهميته لأنها في نهاية الأمر تشكل جزء فقط، ومهما كان كبيراً، في بلورة شخصية القارئ، الصغير أو البالغ.

القارئ الصغير يتعرض إلى «مؤسسات» عديدة تؤثر فيه وعلى توجهاته : جهاز التعليم، العائلة، وسائل الإعلام، الأصدقاء والمجتمع، الشارع وأحداث كبيرة متنوعة وغير ذلك . . . [1]

كل ذلك من شأنه التأثير على نوعية الكتب والقصص التي تقرأ وعلى فهم الإبداع الأدبي ومعانية السياسية والاجتماعية.

في معظم الحالات يأتي أدب الأطفال بعد أدب الكبار، وما يكتبه الكبار «يترجم» إلى لغة الأطفال[2].

هذا التوافق والانسجام يدل على أن معظم كتب الأطفال هي توفيقية وتميل نحو الإجماع العام والقسم القليل منها يثير التساؤلات والنقد وتحطيم «الأساطير».

يستحيل معرفة مدى التأثير الحقيقي لأدب الأطفال على عالم البالغين الذين قرأوا هذا الأدب في صغرهم.

المجتمع اليهودي بعد قيام اسرائيل يعيش في خضم صراع دائم اكتسب كل أشكال العنف : صراع على الأرض بين مستوطنين وفلاحين، اعتداءات أفراد على مزارع وردود فعل عليها، إطلاق نار على حراس وعلى قرويين عرب وعشائر بدوية، ومشادات تستعمل فيها الحجارة والسكاكين وحرب عصابات وحركات إرهاب يهودية وحروب جيش نظامي وشبه نظامي، وحروب استنزاف، إرهاب وإرهاب مضاد متطوّر جداً، وصولاً إلى حروب شاملة بحجم السلاح وعظمته وهو من الأسلحة الأكثر عصرية في التاريخ العسكري.

على ضوء التاريخ الدموي، فإنه يؤثر على الفرد والمجتمع والأدب تأثيراً حاسماً. من

واجب الأدب أيضاً نقد المجتمع وتوجيه الأسئلة الصعبة :

«هل نحن اليهود أيضاً لا نخاف من انتهاء هذا الصراع فنجد أنفسنا في بداية علاقات متنافسة مع العالم، أو على الأقل علاقات طبيعية في أساسها؟ هل اليهود حقاً يريدون أن يكونوا سعداء؟ الفيلسوف اليهودي الألماني هرمان كوهين، طرح هذه الأسئلة عندما حاولوا شدّه إلى الصهيونية.

وقد عبّر في هذه المسألة عن إحساس يهودي قد يكون أكبر من كل فلسفة. حقاً إن اليهودي يخشى أن يفقد أمراً أساسياً في هويته إذا وجد نفسه مرتبطاً بعلاقة طبيعية مع العالم [٣].

هل نحن في حربنا الوجودية لا نسخر بشكل مطلق كل شيء من أجل الحرب؟ هل تقاسم الإمكانات واستعباد الروح لا يسخران لصالح الحرب؟ وهل الأدباء والأدب لا يخضعون لهذه الاتجاهات؟

يبدو أن التاريخ الأدبي عندنا مقسم حسب الحروب، ففي مجتمع «يعيش على السيف» يتبلور شعور بالاعتداء على «الآخر» ونزع الإنسانية عنه، وإيمان مطلق بالعدالة، أي أننا نحن أصحاب الحق وغيرنا، إن كان قريباً أو بعيداً، فهو مخطئ.

«بما أننا نعتبر أنفسنا الضحية الأبدية، «داود وجوليات»، فإن مجرد كوننا ضحية يجعلنا أخلاقيين أكثر . . . »[٤]

ملاحظات ومراجع:

مقدمة

١ . عقد المؤتمر في الجامعة العبرية وسيمنار الكيبوتس في تل-أبيب - تحت رعاية قسم العلوم السياسية، معهد أشكول، معهد ترومان وصندوق فورد .
٢ . حنان حيفر «فجأة يظهر وجه الحرب»، ص ١٥٧-١٨٣، يوسف ليفنغر . التربية على العنف العنصري، موريشت، سنة رابعة، (تموز ١٩٦٧) ص ١٣٤ . يشعياهو ريم، «ستيريو تيبات (أفكار مسبقة) قومية عند الأطفال» مغاموت، مجلد ١٦ . عدد الأول من تشرين الأول ١٩٦٨ .
٣ . مايا روزنفلد، «أن تكون منتمياً إلى شعب المنتمين»، المؤتمر الدولي : العسكرة والتربية، نظرة نقدية .
٤ . تسفيا عزينفلد - أنهم يخافون، ص ٧٣ .
٥ . إستر ميلو، «التربية على جانبي الحدود»، رموز ، السنة الرابعة ، العدد ١١(كانون الأول١٩٦٧) .
٦ . اوليك نيتسر ، فيروس الحسد ، تل-أبيب ، غفانيم - ٢٠٠١، ص٢٠

مدخل :

العسكرة، تعريفات، نماذج وتفسيرات :

١ . ايتان افنيئون (محرر) قاموس سبير، تل-أبيب، ١٩٩٨ ص ١٤٤٦ .
٢ . إبراهيم بن شوشان القاموس العبري المركزي، القدس، كريات سيفر، ص ٣٧٠، أنظر أيضاً : آدير كوهين، وجه جديد في المرآة ص ٦٣-٨٦، أفيف فايكل، «مهرجو المستقبل»، معاريف لنوعر ٢٢ (١٤٢٤) /١٩٨٥ ٣/٥ ص١٠-١١ .
٣ . دان وكفاي بيش، قاموس أجنبي عبري موسع، تل-أبيب ، عميحاي ١٩٧٧ ص ٣٧٤-٣٧٥ .
٤ . برنارد برودي - الحرب والسياسة، ص ٤٠٩-٤٢٣ .
حنان حيفر، فجأة تظهر الحرب، ص ١٥٧-١٨٣
أوري بن اليعازر، «نشوء العسكرة الإسرائيلية»، المقدمة،
Ward Ghaset **Military Men** N.Y.Knopf , 1970 .
Samuel Huntigton. **The soldier and the State :The Theory and Politics of Civil-Military Relations** . Cambridge , mass, Harvard University Presss, 1957 Adam Yarmolinsky . **The Military Establishment** N.Y: Harper & Row 1971 Moriss Jaonoviz . **The Professional Soldier : A Social and Political Portrait** . N.Y : Free Press , 1960.
David Shop "**The New American Militarism** - Atlantic , April, 1969 .
Alfred Vagts . **A History of Militarism** . N.Y.: Norton , 1957 : reved , N.Y. : Meridian , 1959.
٥ . يهوشع برافر(محرر) الموسوعة العبرية، المجلد ٢٣، القدس وتل-أبيب : جمعية إصدار الموسوعات، ص ٢٠٦-٢٠٩ .
٦ . نفس المصدر، ص ٢٠٦ .
٧ . تنسب النزعة العسكرية إلى منظمات عديدة مثل : «الجينكويزم «في بريطانيا، «والرفانشيزم» في فرنسا، والإمبريالية في القرن التاسع عشر، وفي القرن العشرين : هتلر، وموسوليني، هيدكي، توغو وغياتسي

تاناكا في اليابان .
٨ . اقرأ مؤلفات ل . كيبلينغ وج . انوتيسيو . وعندنا : موشي شمير الذي يقدس شخصية ابراهام شتيرن في كتابه الأخير .
٩ . مع ذلك فإن العسكرة موجودة كنهج حياة ونظام في دول عديدة، وعلى الأخص «العالم الثالث» والعالم العربي، وجنوب شرق آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية .
١٠ . برافر، نفس المصدر، ص٩ .
١١ . عن العسكرة، راجع :

s . Andrzejeweski **Military Organization and Society** ،1954 .
C . W . Mills . The Power Elite ،1956
S . P . Hutigton . **Changing Patterns of Military Politics**, 1962
S . E . Finer . **The Man on Horseback : The Role of the Military in Politics** 1962 .

١٢ . تعابير عن العسكرة قائمة في الأدب ولكنها أيضاً في الرياضة وكرة القدم، التي تشبه ميدان قتال .
١٣ . عن شخصية العربي في أدب الأطفال راجع :
يشعياهو ريم، «انماط قومية عند الأطفال»، مغامون، المجلد ١٩ ، تشرين الأول ١٩٦٨ .
كلمات بنيامين، «شخصية الإنسان الإسرائيلي، الأميركي، الألماني والعربي في نظر الشبيبة الإسرائيلية»، مغامون، المجلد ١٩ ، تشرين الثاني١٩٦٩ . حنة يكير «شخصية العربي في كتب الأطفال الإسرائيلية» . اطروحة في مؤسسة «تصافيت» .
نيلي لوتسكي «العلاقات اليهودية العربية في أدب الأطفال»، هحينوخ، آذار ١٩٧٩ .
أدير كوهين، وجه بشع في المرأة، تل-أبيب رشفيم ١٩٨٥ .

M . Regev. **The Arab Problem in Israeli Children's Books**
Dispersion and Unity. No.9 , 1969 .
M. Regev . **Das Bild des Arabers in Israelichen**
Kinderbuchem . Emuna - Horizonte . V. Jahrgang . Dec . 1970 .

١٤ . ديفيد غروسمان . «حاضرون غائبون»، ص ١٥٤ .

الأدب والتربية بناء على أساطير عسكرية :

١ . كتاب آخر للمؤلفة : «واحد منا»، اقرأ أيضاً : اوريئيل اوفك : «من طرزان إلى حسمبا» تل-أبيب، ص ١٩١-٢٠٥ .
٢ . نفس المصدر، ص٢١٩-٢٣٣ .
٣ . عوز الموغ «الصبار»، ص ٢١-٢٦
٤ . عن أدب حرب «الإستقلال» اقرأ : ش . طناي . «أدب الحرب في البلاد» متسودا، ص ٤٠٩-٤١٥ .
٥ . صدرت طبعة جديدة لكتابه «حتى طلوع الفجر» الكيبوتس الموحد ٢٠٠٠ .
٦ . عن مظاهر العسكرة اقرأ في كتابه الأخير : «إكتشاف الياهو» . زمورا بيتان، ١٩٩٩ .
٧ . موشي شمير، كتب سيرة ابراهام شتيرن، كذلك اقرأ ي . بن باروخ : «أدب البلماح من ١٩٤٨ إلى الآن» . عيتون ٧٧ عدد ١٠٠ أيار ١٩٨٠ ، ص ١٦٤ .
٨ . ألموغ - نفس المصدر، ص٤٦-٤٩

٩ . نفس المصدر ص٦٧-٨١، ن عزتس «اقلية في مواجهة الأكثرية»، سيمان كريئاه، ص ١٦-١٧ ، نيسان ١٩٨٣ .
١٠ . ي . بن باروخ، نفس المصدر .
١١ . الموغ، نفس المصدر، ص١٧٦-١٧٨ .
١٢ . المزيد عن طهارة السلاح في الأدب الإسرائيلي : ابراهام أدن ، «حتى علم الجبر» ص ١١١-١١٢ و ٢٢٢-٢٢٣ يهودا بن ديفيد، «كتائب النار «ص ٣٠-٦٣ و ١٠٨-١١١ ابراهام فيرد - «لهيب النار» ص ٢٢٥-٢٣٠ اسحق طيشلر «الأواخر على التلة» ص ١١٤-١٢٩ .
١٣ . الموغ، نفس المصدر، ص٢٨٩-٢٩٦ .
١٤ . أ . سمالي، «رجال البداية»، تل-أبيب ١٩٧٧ ، ص ٤٦ مناحيم ريجف . «المسألة العربية في أدب الأطفال» .
١٥ . الموغ . نفس المصدر، ص ٣١٣-٣١٤ .
١٦ . عن المذابح - راجع : بيني موريس، «تصحيح خطأ»، تل-أبيب - عام عوفد ٢٠٠٠ . دان ياهف، «الحروب الإسرائيلية على الحدود : ١٩٤٩-١٩٥٦» تل - أبيب، عام عوفد، ١٩٩٨ .
١٧ . «في تلك الليلة»، ص ٨٢ .
١٨ . أوليك نيتسر، «فيروس الحقد» ص ١٣-١٧
١٩ . نفس المصدر، ص١٨ .
٢٠ . نفس المصدر، ص١٩ .
الموغ نفس المصدر ص ٣٠٠- ٣٠٣ و ٣٠٩-٣١٦ .

21. Samuell.I.Hayakawa.**Language in Thought and Action**.
N.Y.Harcourt Brace Jovanovich , 1972 .
Ian Vine , "The Roles of Human Nature and Socio Cultural Processes in Inergroup discrimination" . **The Sociobiology of Ethnocentrism** . eds . V. Reynolds et.al . London & Sydney : Croon Helm. 1987.

أطفال الأطفال والفتيان :

مدخل

١ . مناحيم ريغف، على طريق أدب الأطفال، ص ٩ أدير كوهين، «طريق الريح، قدرة الأدب على التربية» تل-أبيب، يحداف ١٩٧٧ .
Isabelle Jan. **On Children 's literature** Allen Lane , 1973 , 12.F.J Harvey Darton . **On Children's Books in England**. Cambridge University Press , 1966
Margery Fisher .**Iintent Upon Reading** . Brockhampton Press , 1962
2. Dorton . Ibid , p . 1
3. Fisher .Ibid , p 18
٤ . مناحيم ريغف ، «أدب الأطفال كتعبير عن وجهة نظر»، على طريق أدب الأطفال، ص ٧٧-٨٠ .
٥ . آدير كوهين، «وجه بشع في المرآة»، تل-أبيب رشفيم ١٩٨٥ .
٦ . يوسف أريكا (محرر) « قصص عبرية من حياة العرب» تل- أبيب ١٩٦٣ .
شولاميت هار ايفن، «العربي في أدبنا »معاريف ٢٠/ ٤/ ٧٩
٧ . ريغف، نفس المصدر، ص١٠٦ .
٨ . يوسي مرغليت . «الصديق من ابو حمام », نار في الغابة ص ١٥

٩ . بنيامين هليفي، «اوري وعيران»، ص ١٢٩-١٥٠ .
١٠ . دفورا موسينزون - عومر، «هاتف إلى ما عبر الحدود»، حتى السماء، ١٩٦١، ص ٣٠ .
١١ . م. غرعين، «الشيطان الثاني يذهب إلى الحدود»، ص ٥
١٢ . اليعازر سمالي، «رجال البداية»، ص ٢٠٦ - ٢٥٩ .
١٣ . نعمي زوريع «والد شالوح »وإلى الرمل والبحر الأزرق»، ص ٢٤ .
١٤ . اليعزر سمالي، «الشاب الشجاع»، ضوء في الجليل ص ٧ .
١٥ . عيران سورير «النفق السري في النقب»، ص ٧١ .
١٦ . يهودا سلوا، نار في الجبال، ص ٤٦ .
١٧ . زئيف دومينيس، عمّاد النار، ص ٤٣ .
١٨ . تسفي ليبرمان - في جبال القدس، ص ٨٥ .
١٩ . اورئيل اوفيك، رحلة إلى الأب الجندي، ص ٣٦ .
٢٠ . بنيامين غال - ثعالب شمشون، ص ٩٦ .
٢١ . موشي بن شاؤول - نجوم عديدة، ص ٦٢-٦٣ .
٢٢ . بنيامين هليفي، «اوري وعيران»، ص ١٤٢-١٤٣ .
٢٣ . اليعازر سمالي . رجال البداية، ص ٥١، انظر ادير كوهين: «وجه بشع في المرآة»، ص ٦٥ .
٢٤ . م. غرعين، «الكاديلاك يتجه إلى الجنوب»، ص ٩-١٠ .
٢٥ . تسفي زئيري . «الشيخ عبد الله، مغامرات يوفال»، ص ٦٩ .
٢٦ . عيد وسيترعوز يتحدى تماسيح فرعون، ص ٣٥-٣٦ و ٣٩ .
٢٧ . يغئال موسينزون، حسمبا والسر الكبير، ص ٧٦ وص ٨٧-٨٦ ص ١٤٣ .
٢٨ . زئيف دومنيتس «عمّاد النار»، ص ٧٤ .
٢٩ . عيران سورير، نفس المصدر، ص٨٤ .
٣٠ . استر ميلو «التربية على جانبي الحدود» رمزور، السنة الرابعة، كانون الأول ١٩٦٧ .
نافه زوهر، نفس المصدر .
نيلي لوتسكي، نفس المصدر .
حنه يكير نفس، المصدر،
٣١ . اليعزر سمالي، «قلب الأم، خيط من الحسنة» ص ١٢٦ .
٣٢ . عاموس ليفين، «حرس الأولاد»- المجلد ١٨ , ٢٣ , ٤ , ٦٣ .
٣٣ . دوريت اورغاد «ساعة امتحان»، تل-أبيب هدار ١٩٧٩ .
انظر أيضاً : دوريت اورغاد، صداقة على المحك ١٩٧٧ .
٣٤ . ادير كوهين «وجه بشع في المرآة»، ص ١٣ .
٣٥ . عوديد بيتسر، ليس على طريق الملك، تل-أبيب يوسف شربرك ١٩٧٣، ص ٦ و ٦٤ .
٣٦ . ادير كوهين، نفس المصدر، ص ٦٢-٧٧ .
٣٧ . ادير كوهين، ص ٦٦ .
٣٨ . عوديد بيتسر : لا تمشوا على العشب، تل -أبيب شرابرك ١٩٦٩ ص ١٥ و ١٨٤ .
٣٩ . ادير كوهين، نفس المصدر، ص ٧٢-٨٦ .
٤٠ . اليعازر سمالي : حارس في إسرائيل - الكسندر زايد، ص ٦٣ .
٤١ . ادير كوهين نفس المصدر، ص ٨٧-٩٤ .

٤٢ . تسفي لام، «الحرب والتربية» عام عوفيد ١٩٧٩ ص ٤٢ .
٤٣ . ملكا فيشكين، ابطالنا الصغار ١٩٧٠، ص ٨ .
٤٤ . ادير كوهين نفس المصدر، ص ص ٢٠-٩٦ .
٤٥ . يميما تشرنوفيتش افيدار : هل حقاً، تل-أبيب سفريات بوعليم ١٩٧٨، ص ٨ -٩ , ١٣-٢٠ .
٤٦ . يهواش بيبر «البطل من عرين الأسود» عام عوفيد، تل-أبيب ١٩٧٨، ص ٩ ، ١١ , ٢٨ , ٤٢ , ٤٣
٤٧ . بنينا زار، نفس المصدر، ص٩٦ .
٤٨ . عن وحشية فينغيت، راجع : كريستوفر سايكس، اورط فينغيت، تل-أبيب معرخوت ١٩٦٣ .
٤٩ . عوديد بيتر : ليس على طريق الملك ص ٥٤-, ٥٥، ١٣٤ , ١٣٦ , ١٨١ .
٥٠ . غليلا رون فيدر، موشي ديان، القدس كيتر ١٩٨٤ص ٢٠ , ٥٠ , و ١٦٦ .
٥١ . ادير كوهين نفس المصدر، ص ١٩٨-٢٠٣ .
٥٢ . أفنير كرميلي، عودة الرياضيين الشباب، م. مزراحي ١٩٧٤ ص. ١٠٦ - ١٠٨ .
٥٣ . أدير كوهين، نفس المصدر، ص ١٩٨ - ٢٠٣ .

العهد القديم

١ . تسفي أيلان، في أعقاب حرب الحشمونائيين - تل-أبيب شربراك ١٩٦٨ .
انظر : أدير كوهين، وجه بشع في المرآة ص ٩٦-١٢٠ .
٢ . ايلان، نفس المصدر، ص ٦ .
٣ . نفس المصدر، ص ٣٢ .
٤ . نفس المصدر، ص ٧٠ .
٥ . يعقوب حورغين، « المتعصبون الشباب» القدس كيتر ١٩٨٩ (طبعة جديدة) .
٦ . نفس المصدر، ص ١٠ .
٧ . نفس المصدر، ص ٧١ .
٨ . نفس المصدر، ص ٨٣ .
٩ . نفس المصدر، ص ٨٧ .
١٠ . نفس المصدر، ص ٩٥ .
١١ . نفس المصدر، ص ٩٥ .
١٢ . نفس المصدر، ص ٩٦ .
١٣ . نفس المصدر، ص ١٣٤ .
١٤ . نفس المصدر، ص ١٥٠ .
١٥ . حورغين، نفس المصدر، ص ١٨٣ .
١٦ . يعقوب حورغين، القدس تشتعل، المجلد الأول، تل-أبيب، يزراعيل ١٩٧٦ .
١٧ . نفس المصدر، ص ٢٦-٢٧ .
١٨ . نفس المصدر، ص ٧٥ .
١٩ . نفس المصدر، ص ٧٥ .
٢٠ . المجلد الثاني ص٢٥ .
٢١ . حورغين، نفس المصدرو ص ٣٥-٣٦ .

٢٢ . نفس المصدر، ص ٥١-٥٢ .
٢٣ . شراغا غافني، ثورة المتعصبين، تل-أبيب عميحاي ١٩٦٧ .
٢٤ . نفس المصدر، ص ١٠٠ .
٢٥ . نفس المصدر، ص ٢٢ .
٢٦ . ليئور عيشت، باركوخابا، تل -أبيب ع . زكيس ١٩٦٦ .
٢٧ . عيشت نفس المصدر، ص ٢٧ .
٢٨ . نفس المصدر، ص ٤٢ .
٢٩ . نفس المصدر، ص ٤٤ .
٣٠ . نفس المصدر، ص ٤٩ .
٣١ . نفس المصدر، ص ٥٤ .
٣٢ . نفس المصدر، ص ٨٥-٨٦ .

العهد الحديث :

١ . ل . شاؤول «تباً للكتاب الأبيض» تل-أبيب عميحاي ١٩٧٩ .
٢ . نفس المصدر، ص ٨٢ .
٣ . يسرائيل ليرمان، الخلية تضرب ثانية، تل-أبيب اوفير ١٩٩٢ .
٤ . نفس المصدر، ص ١٦٣ .
٥ . اوريئيل اوفيك «رجال المدرعات مقبلون» مكتبة عوفر، بدون تاريخ .
٦ . نفس المصدر، ص ٣٨ .
٧ . نفس المصدر، ص ٥٣ .
٨ . نفس المصدر، ص ٦٣ .
٩ . اوريئيل اوفيك، في الطريق إلى الكلية، سفريات بوعليم ١٩٨١ .
١٠ . نفس المصدر، ص .
١١ . نفس المصدر، ص .
١٢ . نفس المصدر، ص .
١٣ . نفس المصدر، ص .
١٤ . معوز حبيب «رجال اللاسيلكي الشباب» تل -أبيب م . مزراحي ١٩٨٧ .
١٥ . موشي بيليغ «المقاتلون الشباب في عملية بيت شان»، تل -أبيب ترابسكي ١٩٦٤، واقرأ أيضاً كتابيه : المقاتلون الشباب في عملية يزراعيل، والمقاتلون الشباب في عملية بيروت .
١٦ . نفس المصدر، ص ٨ .
١٧ . نفس المصدر، ص ٢٣ .
١٨ . نفس المصدر، ص ٤٨ .
١٩ . نفس المصدر، ص ٥٠ .
٢٠ . نفس المصدر، ص ٥٣ .
٢١ . نفس المصدر، ص ١٢٨ .
٢٢ . افنير كرميلي : البحارة في عملية غرزين (البلطة) تل-أبيب م . مزراحي ١٩٨٩ .

٢٣ . نفس المصدر، ص ١٩ .
٢٤ . ص ٣٧ .
٢٥ . افنير كرميلي، البحارة في عملية ماحتص، تل-أبيب م . مزراحي ١٩٥٩ .
٢٦ . نفس المصدر، ص ١٦ .
٢٧ . ص ٤١ .
٢٨ . ص ٨٧ .
٢٩ . كرميلي، نفس المصدر، ص ٩٢ .
٣٠ . يغئال موسينزون : حسمبا - تل -أبيب، تابرسكي ١٩٥١ .
٣١ . نفس المصدر، ص ٦٩ .
٣٢ . يغئال موسينزون، حسمبا في بيت الممنوعين، تل أبيب، كنيرت وزمورا ٢٠٠١ (طبعة جديدة) واقرأ أيضاً عن وصف العرب بالنازيين في كتابه : دانيدين في الطائرة المخطوفة، تل -أبيب، مزراحي ١٩٧٢ ص ٥٩ .
٣٣ . موسينزون، نفس المصدر، ص١٠٤ .
٣٤ . ص ١٣٥-١٣٦ .
٣٥ . ص ١٣٦ .
٣٦ . موسينزون : حسمبا في كمائن الحدود، شالفي، تل -أبيب، بدون تاريخ .
٣٧ . نفس المصدر، ص ٢٢ .
٣٨ . نفس المصدر، ص ١٥٧ .
٣٩ . نفس المصدر، ص ١٥٨ .
٤٠ . موسينزون، حسمبا في قتال الشوارع بغزة، تل-أبيب شالفي ١٩٨٩ .
٤١ . نفس المصدر، ص١٤١ .
٤٢ . نفس المصدر، ص١٤٥ .
٤٣ . باتيا كوخاف، «عباءة عبد القادر»، رمات غان مسّادة ١٩٦٨ .
٤٤ . نفس المصدر، ص٩٩ .
٤٥ . نفس المصدر، والصفحة .
٤٦ . يهودا سلوا، نار على الجبال، تل-أبيب، عام عوفيد ١٩٦٤ .
٤٧ . نفس المصدر، ص ٤١ .
٤٨ . نفس المصدر، ص٤٢ .
٤٩ . (بيتشو) يسرائيل ويسلر، «أنا جبان أنا ؟» رمات غان، مسادا ١٩٦٦ .
٥٠ . نفس المصدر، ص ٧٢ .
٥١ . نفس المصدر، ص٧٧ .
٥٢ . نفس المصدر، ص٨٣ .
٥٣ . نفس المصدر، ص٨٤ .
٥٤ . بوتشو (يسرائيل فايسلر) هكذا مجموعة، تل-أبيب ١٩٦٧ .
٥٥ . نفس المصدر، ص٤٤ .
٥٦ . نفس المصدر، ص٧٠ .
٥٧ . بوتشو : يوسله كيف وقعت قصة حب عذري، رمات غان، مساده ١٩٧٣ .
٥٨ . نفس المصدر، ص١٥ .

٥٩ . نفس المصدر، ص٢٩ .
٦٠ . موطا غور : عازيت الكلبة في قوات المظلات، ١٩٦٩ .
٦١ . نفس المصدر، ص١٠ .
٦٢ . نفس المصدر، ص٥٣ .
٦٣ . نفس المصدر، ص٥٤ .
٦٤ . نفس المصدر، ص٧٦-٧٧ .
٦٥ . نفس المصدر، ص ١٠٠ .
٦٦ . عوز، نفس المصدر، ص١٠٤ .
٦٧ . دفورا عومر - عمري صف ١٩٦٧ - تل-أبيب عميحاي ١٩٧٠ .
٦٨ . نفس المصدر، ص٤٠ .
٦٩ . نفس المصدر، ص٥٥-٥٦ .
٧٠ . نفس المصدر، ص١٠٥ .
٧١ . نفس المصدر، ص ١٥٩ .
٧٢ . بنيامين هليفي، اوري وعيران، سفريات بوعليم ١٩٦٠، ص ١٢٠-١٨٣ .
٧٣ . نفس المصدر، ص١٣٧ .
٧٤ . نفس المصدر، ص١٤٠ .
٧٥ . نفس المصدر، ص١٤٥ .
٧٦ . غاليلة رون فيدر : الذخيرة في أعماق المغارة تل-أبيب، ميلو ١٩٧٣ .
٧٧ . نفس المصدر، ص١٢١ .
٧٨ . نفس المصدر، ص١٢٣ .
٧٩ . عالية رون فيدر، بروفيل ٩٧ : حكاية تصيون كوهين، تل-أبيب، ميلو ١٩٥٩ .
٨٠ . نفس المصدر، ص٩ .
٨١ . نفس المصدر، ص٧٩ .
٨٢ . غاليلة رون فيدر، يوميات من الحرب الخاصة : تل-أبيب، آدم ١٩٩٢ .
٨٣ . نفس المصدر، ص١٣ .
٨٤ . نفس المصدر، ص١٤ .
٨٥ . نفس المصدر، ص١٦ .
٨٦ . نفس المصدر، ص٦٦-٦٧ .
٨٧ . غاليلة رون فيدر - أولاد خط التماس، تل-أبيب آدم ١٩٩٤ .
٨٨ . نفس المصدر، ص٢٩ .
٨٩ . نفس المصدر، ص٣٥ .
٩٠ . نفس المصدر، ص٦٥ .
٩١ . نفس المصدر، ص ٧٢ و ٧٤-٧٦ .
٩٢ . نفس المصدر، ص١٥٠ .
٩٣ . غاليلا رون فيدر -نفق الزمن - القدس المحاصرة، تل-أبيب مودان ١٩٧٧ .
٩٤ . نفس المصدر، ص ٧١ .
٩٥ . غاليلا رون فيدر، نفق الزمن - الحارس الأول . مودان ٢٠٠٠ .

٩٦ . نفس المصدر، ص ٤٢ .
٩٧ . نفس المصدر، ص ٦٥ .
٩٨ . نفس المصدر، ص٧٤ .
٩٩ . نفس المصدر، ص ٧٨-٧٩ .
١٠٠ . نفس المصدر، ص ٨٧ .
١٠١ . نفس المصدر، والصفحة .
١٠٢ . نفس المصدر، ص ٨٨ .
١٠٣ . اوريئيل اوفك : الدخان يغطي الجولان، تل-أبيب مزراحي ١٩٨٧ .
١٠٤ . نفس المصدر، ص٤٨ .
١٠٥ . نفس المصدر، ص٧٠ .
١٠٦ . نفس الصفحة .
١٠٧ . نفس المصدر، ص ٧٤ .

أدب الكبار :

مدخل :

١ . دان شيفطن : تعامل اليهود في البلاد مع عرب إسرائيل، تل-أبيب جامعة تل-أبيب ١٩٦٨ .
٢ . ايهود بن عيزر، «المسألة العربية في أدبنا»، شدمون، عدد ٤٧، ص ١٣٥ .
٣ . حركة تأسست في العشرينات وآمنت بالتعايش مع العرب الفلسطينيين - من مؤسسيها : يهودا ماغنيس، مارتن بوبر، يهوشع هتلمي، ارثور روبين وغيرهم .
٤ . بن عيزر، ص ٣٦ .
٥ . يعقوب شتاينبرغ «الحاج من حفتسي با» وردت في بن عيزر - ص ٣٧ .
٦ . ايهود بن إليعازر، «مقتحمون ومحاصرون»، كيشت (صيف ١٩٦٨) .
٧ . اقرأ أيضاً : عاموس ايلون : الإسرائيليون : المؤسسون والأبناء، ص ٢٨٠ .
٨ . ورد موضوع الأسرى في كتب مختلفة، يزهار، كانيوك، بن أموتس، بن يهودا وغيرهم .
٩ . بن عيزر، المسألة العربية في أدبنا، ص ٤٢-٤٣ .
١٠ . أيلون نفس المصدر، ص ١٧٤-١٧٥ .
١١ . بن عيزر، ص ٤٤-٤٥ .
١٢ . أيلون، نفس المصدر، ص ٢٧١-٢٧٤ .

كتب وكتاب :

فترة الانتداب :

١ . اسحق شاليف : قضية غبريئيل تيروش، تل أبيب : عام عوفد ، ١٩٨٨ .
٢ . نفس المصدر، ص ٢٣٦ .
٣ . نفس المصدر، ص٢٣٧ .
٤ . نفس المصدر، ص ٩٠ .
٥ . نفس المصدر، ص ٢٩٠ .

٦. نفس المصدر، ص ٣٤.
٧. نفس المصدر، ص ٣٧.
٨. نفس المصدر، ص ٥٠.
٩. نفس المصدر، ص ٥٣.
١٠. نفس المصدر، ص ٦١.
١١. نفس المصدر، ص٦٤.
١٢. نفس المصدر، ص٦٧.
١٣. نفس المصدر، ص٩٤.
١٤. نفس المصدر، ص٩٩-١٠٠.
١٥. نفس المصدر، ص١١١.
١٦. نفس المصدر، ص١١٨.
١٧. نفس المصدر، ص١٤٢.
١٨. نفس المصدر، ص١٤٣.
١٩. نفس المصدر، ص١٤٤.
٢٠. نفس المصدر، ص١٤٨.
٢١. نفس المصدر، ص ١٥١.
٢٢. نفس المصدر، ص ١٦٤.
٢٣. نفس المصدر، ص١٧٩.

حرب ٤٨ :

١. حاييم حايموف - جريمة، وأفرغت البلاد. اللد. زمورا بيتان ٢٠٠١.
٢. نفس المصدر ص ١٤٥.
٣. نفس المصدر ص ١٥٣.
٤. راجع : الموسوعة العبرية، المجلد الرابع والعشرون ص ٨١٣ يوحنان أهروني، أطلس كرتا - تاريخ أرض إسرائيل، القدس ١٩٧٠، يوسف بن متياهو - أقدمية اليهود - القدس، مؤسسة بياليك ١٩٧٢ سفر الملوك الثاني، ٢٢, ٣٢, ٤٠، يرمياهو ٢٤, ٢٦.
٥. راجع الملاحظة رقم ١٦ في الفصل : الأدب والتربية على الأساطير العسكرية.
٦. حاييم غوري، «الرحلة إلى بئر السبع، الإنسان في الحرب»، أدير كوهين (محرر) تل-أبيب - معرخوت ١٩٧٤، ص ١٣٩.
راجع أيضاً كتابه : «حتى طلوع الفجر»، تل-أبيب الكيبوتس الموحد ٢٠٠٠، ص٧٢.
عن قتل أسرى في المعركةعلى بئر السبع. راجع : ابراهام إيدي، «علم الحبر»، تل-أبيب، معرخوت ١٩٨٤ ص ١١١-١١٢, ٢٢٢- ٢٢٣.
ابراهام فيريد، «لهيب من النار»، تل-أبيب، تنوفا ١٩٥٠ ص ٢٢٥-٢٣٠.
٧. حاييم غوري، الرحلة إلى جبل الله ص١٤٦.
٢. حاييم غوري - حتى طلوع الفجر، ص ٥٧.
٣. نفس المصدر، ص ٥٧.

٤. عوز الموغ - الصبار - ص٣٠٩-٣١٢.
٥. غوري نفس الكتاب، ص ١٠٨-١٠٩.
٦. غوري نفس الكتاب، ص ١٢٦.
عن اللاجئ العربي اقرأ :
أهرون ميغد - رياح البحور، تل-أبيب، الكيبوتس الموحد ١٩٥٠ ص ٢٤٠-٢٥٦.
نتان تاحم - الإلهات الكسالى - مرحافيا، مكتبة العمال، مكتبة مشلاط ١٠٤٩ ص ١٠٧-١٢٠.
٧. ص١٥١ - ١٥٢، نقرأ أيضاً:
نتان ألترمان، العمود السابع، دافار ١٩/ ١١/ ٤٨ مردخاي بار اون، «العودة إلى اللد والرملة»، كاتدرة ٩٩ (آذار ٢٠٠١) ١٦٦-١٧٠.
٨. نفس المصدر، ص ١٤٥.
٩. نفس المصدر، ص ١٥٧.
١٠. نفس المصدر، ص ١٥٨.
١١. س. يزهار، خربة خزعة، أربع قصص، تل-أبيب - الكيبوتس الموحد ١٩٦٧.
١٢. يزهار، نفس المصدر ص ٤٤، اقرأ أيضاً : عاموس ايلون، «الإسرائيليون : المؤسسون والأبناء» ص ٢٧٩-٢٨١.
١٣. نفس المصدر، ص ٥٥.
١٤. نفس المصدر.
١٥. نفس المصدر، ص ٦٨-٦٩.
١٦. نفس المصدر، ٧٢-٧٣.
١٧. نفس المصدر، ص ٧٨.
١٨. نفس المصدر، ص ٩٠.
١٩. نفس المصدر، ص ١٠٦، اقرأ أيضاً بوتشو، «أنا جبان» رمات غان - مسّاده ١٩٦٦.
٢٠. س. يزهار، الأسير، أربع قصص، تل-أبيب ١٩٦٧.
٢١. نفس المصدر، ص ١٢١.
٢٢. نفس المصدر، ص ١٢٨.
٢٣. نفس المصدر، ص ١٢٩.
٢٤. نفس المصدر.
٢٥. س. يزهار «أيام تسغلاغ» - المجلد الأول تل-أبيب، زمورا بيتان ١٩٥٨.
٢٦. يزهار نفس المصدر، ص ٢٦-٢٧ اقرأ أيضاً : يوسي بن باروخ «من الواقع إلى أدب الحرب» عيتون ٧٧, ٨٩-٩٩ (٣/ ٤/ ١٩٨٨) ص ٢٤ أمنون لورد . فقدنا أغلى ما عندنا ص ٩٦ -١١٣.
٢٧. نفس المصدر، ص ٢٨.
٢٨. نفس المصدر، ص ٧١.
٢٩. نفس المصدر، ص ١٣٦.
٣٠. نفس المصدر، ص ٩٧.
يوسي بن باروخ، «من تل تسغلاغ وحتى خط العنكبوت : قراءات ذاتية» عيتون ٧٧, ٤٩-٥٠ (١/ ٢/ ٨) ، ص ٥٦-٥٩.
٣١. س، يزهار «الاستقلال ٤٨-٩٢»، حنان حيقر وموشي رون (تحرير) تل-أبيب - الكيبوتس الموحد ١٩٩٩.

٣٢. نفس المصدر، ص ٨٩ .
٣٣. نفس المصدر، ص ٨٩ .
٣٤. س. يزهار، «إكتشاف الياهو» تل -أبيب زمورا بيتان ١٩٩٩ .
٣٥. نفس المصدر، ص٢٦ .
٣٦. نفس المصدر، ص١٢٥ .
٣٧. نفس المصدر، ص١٢٦ .
٣٨. نفس المصدر مقاطع من الكتاب نشرت أيضاً في مجلة «بمحنيه»، الفصل من ص ١٠٧ إلى ١١٤ بتاريخ ٩/ ٥/ ٧٥ اقرأ أيضاً:
أمنون لورد - نفس المصدر، ص ١٠٣-١٠٤ .
٤٥ . موشي شمير «بيديه» مرحافيا - الكيبوتس الموحد الطبعة ١١ , ١٩٧٠ .
٤٦ . نفس المصدر، ص٤٨-٩٣ , ١٧٥- ١٩٠ و ٢١٩-٢٤١ .
٤٧. نفس المصدر، ص ٩٧ .
٤٨. نفس المصدر، ص ١٠٠ .
٤٩. نفس المصدر، ص ٢٢٧ .
٥٠. نفس المصدر، ص ٢٤٧ .
٥١. زروبابل غلعاد، «٤٨ ساعة ملكية» ادير كوهين (محرر) تل-أبيب، معرخوت ١٩٧٥، ص ١٠٨ .
٥٢. نفس المصدر، ص ١٠٨ .
٥٣. اوري أفنيري، في حقول الغزو - ١٩٤٨، تل -أبيب - طبعة خاصة ١٩٧٥، الطبعة الأولى صدرت العام ١٩٤٩ .
٥٤. أفنيري، نفس المصدر، ص ٥٦ .
٥٥. نفس المصدر، ص ١٩٩ .
٥٦. نفس المصدر، ص ٢٤٦ .
اقرأ أيضاً : أمنون لورد، نفس المصدر ص ١١٤-١٣٠ تقبيس بيتاً من قصيدة لأفنيري، ص ١٢٠ .
٥٧. يورام كنيوك «أصدقاء ابني» الإنسان في الحرب، نفس المصدر، ص١٥٣ .
٥٨. نفس المصدر، ص .
٥٩. نفس المصدر، ص ١٥٤ .
٦٠. يورام كنيوك، إنسان ابن كلب، تل -أبيب، مكتبة العمال ١٩٨٤ .
٦١. نفس المصدر، ص ٧٨ .
٦٢. نفس المصدر، ص ٢٥٤ .
٦٣. يورام كنيوك «حيمو ملك القدس»، تل -أبيب عام عوفيد ١٩٨٧ .
٦٤. نفس المصدر، ص ١٩ .
٦٥. نفس المصدر، ص ٢٢-٢٣ .
٦٦. نفس المصدر، ص ٢٤ .
٦٧. نفس المصدر، ص ٧٩ اقرأ أيضاً : س يزهار، اكتشاف الياهو ص ٢٦ .
٦٨. نفس المصدر، ص ١٠٠ .
٦٩. نفس المصدر، نفس الصفحة .
٧٠. نفس المصدر، ص ١٠٣-١٠٤ .
٧١. يورام كنيوك «النازل إلى فوق»، تل -أبيب، عام عوفيد ١٩٦٣ .

٧٢. نفس المصدر، ص ٤٨-٤٩.
٧٣. نفس المصدر، ص ٤٩-٥٠.
٧٤. نفس المصدر، ص ٢٥-٥١.
٧٥. نفس المصدر، ص ٥٢.
٧٦. نفس المصدر، ص ٥٣.
٧٧. نتيفا بن يهودا «١٩٤٨ - رواية عن بداية الحرب» القدس كيتر ١٩٨١.
٧٨. نفس المصدر، ص ٤٦.
٧٩. نفس المصدر، نفس الصفحة.
٨٠. نفس المصدر، ص ٤٨.
٨١. نفس المصدر، نفس الصفحة.
٨٢. نفس المصدر، ص ١٥٦.
٨٣. نفس المصدر، ص ٣٥٨.
٨٤. نتيفا بن يهودا «خلف الضفائر» القدس، دومنيو ١٩٨٥.
٨٥. نفس المصدر، ص ٢٤٣.
٨٦. نفس المصدر، ص ٢٤٤.
٨٧. نفس المصدر، ص ٢٤٦.
٨٨. نفس المصدر، ص ٢٤٧.
٨٩. نفس المصدر، نفس الصفحة.
٩٠. نفس المصدر، ص ٢٤٨.
٩١. دان بن أموتس «حكاية عن الجمل والنصر» ص ٤٧- ٥٢.
٩٢. نفس المصدر، ص ٤٩.
٩٣. نفس المصدر، ص ٥٠.
٩٤, ر ٥١.
٩٥. دان بن أموتس «مش على إي. . . . . .»، تل-أبيب، بيتان ١٩٧٣.
٩٦. نفس المصدر، ص ١٢.
٩٧. نفس المصدر، ص ٦٣.
٩٨. نفس المصدر، ص ١٦٤.
٩٩. نفس المصدر، ص ١٦٥.
١٠٠. بنيامين تموز «مباراة في السباحة»، قصص القدس، كيتر ١٩٨٧.
١٠١. نفس المصدر، ص ١١١.
١٠٢. نفس المصدر، ص ١١٢.
١٠٣. عاموس كينان، «وردة اريحا»، تل-أبيب زمورا بيتان ١٩٩٨.
١٠٤. نفس المصدر، ص ٢٠٨، اقرأ الملاحظة رقم ١٦ في الفصل عن «الأدب والتربية»، والملاحظة صفحة ١٣ - في الفصل «كتب وكتاب - حرب ١٩٤٨».
١٠٥. مردخاي يعقو بوفيتش : «مقاتلون يتحدثون «تل-أبيب - نيف (بدون تاريخ).
١٠٦. نفس المصدر، ص ١٥.
١٠٧. نفس المصدر، ص ١٦.

١٠٨ . نفس المصدر، ص ٥٧ .
١٠٩ . نفس المصدر، نفس الصفحة .
١١٠ . اسحق طيشلر، «آخر من بقي على التلة» تل-أبيب، عام عوفيد ١٩٧٠ .
١١١ . نفس المصدر، ص ١١٥ .
١١٢ . نفس المصدر، ص ١٢٠ .
١١٣ . نفس المصدر، نفس الصفحة .
١١٤ . نفس المصدر ص ١٢١، عن مجزرة اللد، اقرأ ما كتبه نتان ألتروان في زاويته : «العمود السابع» بتاريخ ١٩/ ١١/ ١٩٤٨ .
١١٥ . نفس المصدر، ص ١٢١-١٢٢ .
١١٦ . نفس المصدر، ص ١٢٣ .
١١٧ . نفس المصدر، نفس الصفحة .
١١٨ . نفس المصدر، ص ١٢٤ .
١١٩ . نفس المصدر، ص ٥١٢-٧١٢ .
١٢٠ . نفس المصدر، ص ١٢٧-١٢٨ .
١٢١ . نفس المصدر، ص ١٢٨ .
١٢٢ . نفس المصدر، نفس الصفحة، عن عمليات النهب والغزو في اثناء تدريب قوات البلماح اقرأ : ألون كريش، «إلى الشغل والسلاح»، تل-أبيب، تاج ١٩٩٥، ص ٢٤٣-٢٤٦ كتاب «هشومير هتسعير»- المجلد الثالث : «الغنائم تؤدي إلى الضياع» ص ٦٧-٦٨ .
١٢٣ . طيشلر نفس المصدر، ص ١٢٩ .
١٢٤ . نفس المصدر، ص ١٣٠ واقرأ أيضاً يوسي بن باروخ «من الواقع إلى أدب الحرب»(الجزء الثاني) عيتون ٧٧ (أيار ١٩٨٨) ص ١٦٧ .
١٢٥ . تمار بيرغر، «ديونيوس في المركز»- تل-أبيب الكيبوتس الموحد ١٩٩٨ .
١٢٦ . نفس المصدر، ص ٤٨-٤٩، سكين في المبنى مما تلاه من المحتاجين، واستعمل كمخازن للملابس والطعام، كان الهدف تدمير بنى بلدية، لاخضاع المدينة .
١٢٧ . نفس المصدر، ص ٥٠ .
١٢٨ . نفس المصدر، نفس الصفحة ص ٥٥ .
١٢٩ . نفس المصدر، ص ٥٦ .
١٣٠ . نفس المصدر، نفس الصفحة، اسحق تشيزيك يرسل تقريراً إلى وزير المالية كإعلان وكموظف المكتب - ديفيد هوروفيس من تاريخ ٥/ ٦ .
١٣١ . برينر، نفس المصدر، ص ٥٧-٦٣ .

حرب سيناء والعمليات الإنتقامية :

١ . ا . ب . يهوشواع، «ازاء الغابات»- حتى خريف ١٩٧٤ . مختارات، تل-أبيب - الكيبوتس الموحد ١٩٧٥ انظر أيضاً : عاموس ايلون «الإسرائيليون : مؤسسون وأبناء» ص ٢٧١ .
٢ . أ.ب يهوشواع نفس المصدر، ص ١٠٠ .
٣ . نفس المصدر، ص١٢١ .
٤ . نفس المصدر، نفس الصفحة، انظر أيضاً في فصل المدخل إلى أدب الكبار .

٥. أ. ب يهوشواع «الضابط الأخير»، نفس المصدر.
٦. نفس المصدر، ص٥٨.
٧. نفس المصدر، نفس الصفحة.
٨. نفس المصدر، ص٥٩.
٩. نفس المصدر، ص٦٢.
١٠. نفس المصدر، ص٦٦.
١١. غاليا يرديني (محررة) «يبرمي من المظليين» تل-أبيب، الكيبوتس الموحد ١٩٦٨.
١٢. نفس المصدر، ص٢٢.
١٣. نفس المصدر، ص٢٤.
١٤. نفس المصدر، ص٢٥.
١٥. نفس المصدر، ص٢٦.
١٦. نفس المصدر، ص ٣٥.
١٧. نفس المصدر، ص ٩١.
١٨. نفس المصدر، ص ٩٨.
١٩. نفس المصدر، ص ١١٢.
٢٠. مئير هرتصيون، مذكرات، تل-أبيب، ليفين - أفشتاين، ١٩٦٨ (الطبعة الخامسة)
٢١. نفس المصدر، ص ١٣٣ لا: رحلاته الشبابية التي كانت ساذجة إلى حد ما، دفعته فيما بعد إلى القيام برحلات خطيرة، خارج الحدود وللقيام بعمليات انتقامية يقتل فيها عرباً.
٢٢. نفس المصدر، ص ١٣٤.
٢٣. نفس المصدر، ص ١٦٣ - انظر أيضاً في عوز الموغ «الصبار» ص ٢٨٥-٢٨٨ للاطلاع على المزيد من مغامرات هرتصيون انظر أيضاً: رحيل سفوراي، «الرحلات» «من الداخل»١٨ .أ؟؟؟ (تشرين الثاني ١٩٥٤) ص ١٣٠-١٣٨ داني رابينوفيتش، «لا يوجد حد «- «الطبيعة والأرض»٢٧ ٦ (أيلول - تشرين الأول ١٩٨٥) ص ٢٧.
ي. يار يوسف: «في الطريق إلى الصخرة الحمراء «قصص - تل -أبيب ١٩٥٩، ص ١٨-١٩.
٢٤. عاموس أيلون «الإسرائيليون: المؤسسون والأبناء» القدس وتل-أبيب، شوكن ١٩٧٢.
٢٥. نفس المصدر، ص٢٣٤.
٢٦. نفس المصدر، ص ٢٣٥.
٢٧. نفس المصدر، ص ٢٣٦.
٢٨. نفس المصدر، نفس الصفحة.
٢٩. نفس المصدر، والصفحة.
٣٠. اسحق اورباز، «رحلة دانيال» عام عوفيد ١٩٦٩.
٣١. نفس المصدر، ص ٦١.
٣٢. اسحق اوربان، «رصاصة واحدة»، عشب بري، تل-أبيب: الكيبوتس الموحد وصندوق تل-أبيب للأدب والفن ١٩٧٩.
٣٣. نفس المصدر، ص ٥٩.
٣٤. نفس المصدر، ص ٦٢.
٣٥. نفس المصدر، ص ٦٥.

٣٦. نفس المصدر، ص ٦٧.
٣٧. نفس المصدر، ص ٦٨.
٣٨. نفس المصدر، والصفحة.
٣٩. ياريف بن اليعيزر «المعركة»، تل-أبيب عام عوفيد ١٩٦٦.
٤٠. نفس المصدر، ص ٥-٥٤٥.
٤١. نفس المصدر، ص ٦٠ هل تذكرون المصطلح: صراصير مسممة.
٤٢. نفس المصدر، ص ٦٥.
٤٣. نفس المصدر، ص ٨٤.
٤٤. نفس المصدر، ص ٨٤-٨٥.

حرب حزيران ١٩٦٧

١. ابراهام شبيرا (محرر) حديث المقاتلين، تل-أبيب مجموعة أصدقاء شبان من حركة الكيبوتسات، الطبعة الثالثة ١٩٦٨
٢. نفس المصدر، ص ٩.
٣. نفس المصدر، ص ١١.
٤. نفس المصدر، ص ٦٧.
٥. نفس المصدر، ص ١٦٨.
٦. دافيد غروسمان «الزمن الأصفر»، تل-أبيب الكيبوتس الموحد ١٩٨٧.
٧. نفس المصدر، ص ١٣-١٤، عن ممارسات الاحتلال - أنظر: شمعون ليرر - «طهارة الاحتلال»، عيتون ٧٧, ٩٦-٩٧ (١/ ٢/ ١٩٨٨) ص ٢٨-٢٩.
وهناك يكتب:
«إن منع انتفاضة السكان المدنيين يستوجب فرض نظام احتلال صارم، في هذا النظام - كل مواطن محتل من سبع سنوات إلى سبعين عاماً - يعتبر عدواً.
«طالبات يطلق الرصاص على ظهورهن، أم لثمانية أطفال يقتلها جندي خائف... مسنون توجه إليهم الجنود بالضربات القاسية إلى أن ينزف دمهم». «الطريق الثانية لإزالة التوتر هي برفض اعتبار الفلسطيني بمثابة «داود»وذلك بواسطة نزع الإنسانية عنه، الفلسطيني لا يستطيع أن يكون ذلك الشاب الجميل.. لأنه إرهابي ويغرز سكينه في الظهر ويحرق الأطفال وهو: صرصار وحيوان يسير على قدميه... ولأنه خارج الصنف البشري لا يمكن التحدث معه أو تصديق وعوده ويمكن الاعتداء عليه بغضب».
٨. نفس المصدر، ص ١٦.
٩. نفس المصدر، ص ١٩.
١٠. نفس المصدر، ص ٦٠.
١١. نفس المصدر، والصفحة.
١٢. نفس المصدر، ص ٦١.
١٣. ديفيد غروسمان، «حاضرون غائبون»- تل-أبيب، الكيبوتس الموحد، ١٩٩٢.
١٤. في المدة الأخيرة أثيرت ضجة حول بحث تيدي كاتس عن مجزرة الطنطورة وتهجير قرى الساحل، قضية مهجّري اقرث وكفر برعم التي قررت الحكومة للمرة الثانية عدم السماح بعودتهم إلى قريتهم، هذه القضية لفّها صمت مطبق.

١٥. نفس المصدر، ص ١١.
١٦. نفس المصدر، ص ٢٩.
١٧. نفس المصدر، ص ٦٦-٦٧.
١٨. نفس المصدر، ص ١٥٣.
١٩. نفس المصدر، ص ١٥٤.
٢٠. نفس المصدر، ص ١٦٣-١٦٤.
٢١. نفس المصدر، ص ١٦٤- ١٦٥.
٢٢. نفس المصدر، ص ١٦٧.
٢٣. يغئال ليف - «اقسم بالله يا أمي إنني أكره الحرب»، تل-أبيب - بيتان ١٩٦٧.
٢٤. نفس المصدر، ص ٩.
٢٥. نفس المصدر، ص ١٠.
٢٦. نفس المصدر، والصفحة.
٢٧. نفس المصدر، ص ١١.
٢٨. نفس المصدر، ص ١٢.
٢٩. نفس المصدر، ص ١٣.
٣٠. نفس المصدر، ص ٣٧.
٣١. نفس المصدر، ص ٤٢.
٣٢. نفس المصدر، ص ٤٧.
٣٣. الكاتب يغئال ليف هو من كيبوتس «غبعات مشلوشا» التابع للكيبوتس الموحد، محزب احدوت هعبودا «الذي آمن بأرض إسرائيل الكبرى والأفكار التي تركها اسحق طابنكين ويسرائيل غاليلي ألون وانضم إليهم كتاب وشعراء مثل : نتان الترون وحاييم غوري وموشي شمير وغيرهم . . . . »
٣٤. نفس المصدر ص ١٠٩و ١١٠.
٣٥. اسحق بار يوسف، «غرفة عمليات حربية»، القدس، كيتر ١٩٩٠.
٣٦. نفس المصدر، ص ٥.
٣٧. نفس المصدر، ص ٨
٣٨. نفس المصدر، والصفحة
٣٩. نفس المصدر، ص ٧١
٤٠. نفس المصدر، ص ٨١
٤١. نفس المصدر، ص ٩٣
٤٢. شبتاي طيبيت، «مكشوفون على البرج» - تل-أبيب والقدس، شوكن - ١٩٦٨ - طبع ست مرات ووزع منه حوالي ٥٠ الف نسخة.
٤٣. نفس المصدر، ص ١٢.
٤٤. نفس المصدر، ص ٩٩.
٤٥. نفس المصدر، ص ١١٤.
٤٦. نفس المصدر، ص ١٣٤.
٤٧. نفس المصدر، ص ١٢٩.
٤٨. نفس المصدر، ص ١٥٧.

٤٩. نفس المصدر، ص ١٥٨ .
٥٠. نفس المصدر، ص ١٥٩ .
٥١. نفس المصدر، ص ٢٤٥-٢٤٦ .

حرب الغفران

١ . يغئال ليف، «شمس سوداء، من يوميات مقاتل» تل-أبيب، بيتان ١٩٧٤ .
٢ . نفس المصدر، ص ١٥ .
٣ . نفس المصدر، ص ٤٨ .
٤ . نفس المصدر، ص ٤٩ .
٥ . يوفال ينرية «النار»، تل -أبيب، زمورا بيتان ١٩٨٩ .
٦ . نفس المصدر، ص ٧.
٧ . نفس المصدر، والصفحة .
٨ . نفس المصدر، ص ٩ .
٩ . نفس المصدر، ص ١١ .
١٠ . نفس المصدر، ص ١٠٦ .
١١ . نفس المصدر ص ١٧٢-١٧٣ ، كشف مؤخراً عن أن السادات اقترح على كيسنجر اتفاق سلام مع إسرائيل مقابل الانسحاب من شبه جزيرة سيناء، قبل نشوب الحرب، حكومة إسرائيل رفضت الاقتراح .
١٢ . نفس المصدر، ص ١٨٦ .
أنظر أيضاً :
أمنون لورد «فقدنا أغلى ما عندنا . . . . » تل -أبيب، تموز ٢٠٠٠، ص ١٥ .
لقاء س . يزهار مع ابناء الكيبوتسات في معهد «غبعات حبيبة»، قال أحد الأبناء :
«إنهم يريدونني أن أكون جندياً، أي مجرماً محترفاً جداً» . أنظر «شديموت» العدد ١٤ (١٩٧٤) .
١٣ . حاييم سباتو، «تنسيق النوايا»- تل-أبيب يديعوت احرونوت ١٩٩٩ .
١٤ . نفس المصدر، ص ٤٧-٤٨ .
١٥ . دان بن أموتس : «حرب رائعة»، تل-أبيب، بيتان ١٩٧٤ .
١٦ . نفس المصدر، ص ٤٤-٤٥ .
١٧ . نفس المصدر، ص ٤٦ .

حرب لبنان :

١ . زئيف شيف وايهود يعاري، «حرب الضلال»، القدس وتل-أبيب، شوكن ١٩٨٤ .
٢ . نفس المصدر، ص ١٧ .
٣ . نفس المصدر، ص ٢٧-٢٨ .
٤ . نفس المصدر، ص ٢٩ .
٥ . نفس المصدر، ص ٣٧.
٦ . نفس المصدر، ص ٩٣ .
٧ . نفس المصدر، ص ٢٢٣ .
٨ . نفس المصدر، ص ٢٥٠ .

٩. نفس المصدر، ص ٢٦٤.
١٠. نفس المصدر، ص ٢٦٥.
١١. نفس المصدر، ص ٢٦٦.
١٢. نفس المصدر، ص ٢٦٧.
١٣. نفس المصدر، ص ٣٤٣.
١٤. نفس المصدر، ص ٣٨٠.
١٥. نفس المصدر، ص ٣٨١، اقرأ أيضاً : اوري بن اليعازر : «طريق النوايا : نشوء العسكرة الإسرائيلية»، تل-أبيب، دفير ١٩٩٥ دان ياهف : «طهارة السلاح»، تل-أبيب، تموز ٢٠٠٢.
١٦. دان شفيط - «في كل مرة يحب»، تل -أبيب الكيبوتس الموحد (١٩٩٦).
١٧. نفس المصدر، ص ١٦ .
١٨. نفس المصدر، ص ١١٧-١١٨.
١٩. عوزي بنزيمان، لا يتوقف عند الشارة الحمراء : سيرة أريك شارون، تل-أبيب، آدم ١٩٨٥.
٢٠. نفس المصدر، ص ٣٠.
٢١. نفس المصدر، والصفحة.
٢٢. نفس المصدر، ص ٣٥-٣٦.
٢٣. نفس المصدر، ص ٣٦.
٢٤. نفس المصدر، ص ٤٢.
٢٥. نفس المصدر، ص ٤٤.
٢٦. نفس المصدر، ص ٤٥.
٢٧. نفس المصدر، ص ٤٨-٤٩، فيما بعد تبين أن السكان قتلوا بشطايا القنابل، وليس بسبب هدم بيوتهم. انظر : بيني موريس : نشوء مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، ص ٤٠٠-٤٢٧.
٢٨. بنزيمان، نفس المصدر، ص ٥١.
٢٩. نفس المصدر، ص ٥٣.
٣٠. نفس المصدر، ص ٥٨.
٣١. نفس المصدر، ص ٦٢.
٣٢. نفس المصدر، ص ٦٤.
٣٣. نفس المصدر، ص ٦٦.
٣٤. نفس المصدر، ص ٦٩.
٣٥. نفس المصدر، ص ١١٥.
٣٦. نفس المصدر، ص ١١٨-١٢٠.
٣٧. نفس المصدر، ص ٢٦٢.
٣٨. نفس المصدر، ص ٢٧٣.

الحرب التي أعقبت الحرب :

١. أور سفيباك : «لمن (فرقة) جولاني ؟»، القدس ستسينا ٢٠٠١.
٢. نفس المصدر، ص ٧.
٣. نفس المصدر، ص ١٠.

٤. نفس المصدر، ص ١١.
٥. نفس المصدر، ص ٤٧.
٦. نفس المصدر، ص ١٨٢.
٧. حنان شتاينهرت. «كوكش كودش»، تل-أبيب، ساعر ٢٠٠١.
٨. نفس المصدر، ص ٣٣.
٩. نفس المصدر، ص ٥١.
١٠. نفس المصدر، ص ٥٦.
١١. نفس المصدر، ص ٦٠.
١٢. نفس المصدر، ص ٦٢.
١٣. نفس المصدر، ص ١٤٤.
١٤. نفس المصدر، ص ٢٥٩.
١٥. نفس المصدر، والصفحة.
١٦. عميرة هاس، «إن تشرب من بحر غزة»- تل-أبيب، ١٩٩٦.
١٧. نفس المصدر، ص ٢٤.
١٨. نفس المصدر، ص ٢٥ و ١٠٠.
١٩. نفس المصدر، ص ١٤٩-١٥٠.
٢٠. نفس المصدر، ص ١٥٠.
٢١. نفس المصدر، ص ١٧٩.
٢٢. نفس المصدر، ص ٢٣٢-٢٣٣.
٢٣. بوعز نويمان. جندي طيب، اللد. زمورا بيتان ٢٠٠١.
٢٤. نفس المصدر، ص ١٠.
٢٥. نفس المصدر، ص ٢١.
٢٦. نفس المصدر، ص ٢٦.
٢٧. نفس المصدر، ص ٣٦.
٢٨. نفس المصدر، ص ٥٥.
٢٩. نفس المصدر، ص ٥٧.
٣٠. نفس المصدر، ص ٥٨.
٣١. نفس المصدر، ص ٥٨.
٣٢. نفس المصدر، ص ٧٦-٧٧.
٣٣. نفس المصدر، ص ٧٧.
٣٤. نفس المصدر، ص ٧٩-٨٠.
٣٥. نفس المصدر، ص ٨٢.
٣٦. نفس المصدر، ص ١٠٢.
٣٧. نفس المصدر، ص ١٥١.
٣٨. نفس المصدر، ص ١٦٦.
٣٩. نفس المصدر، ص ١٨٦-١٨٧.
٤٠. نفس المصدر، ص ٢٦ و ١٨٧.

٤١ . حاجي لينك، «يحكي الحرب»، تل-أبيب، الكيبوتس الموحد ٢٠٠٠ .
٤٢ . نفس المصدر، ص ٣٢ .
٤٣ . نفس المصدر، ص ٣٩ .
٤٤ . نفس المصدر، ص ١٠١ .
٤٥ . نفس المصدر، ص ٥٣ .
٤٦ . نفس المصدر، ص ٦٤ .
٤٧ . نفس المصدر، ص ٧٧ .
٤٨ . نفس المصدر، ص ١١٣ .

خـاتمـة :

١ . في الماضي كان لحركة الشبيبة والحزب الذي انبثقت عنه تأثير كبير ، ولكن في السنوات الأخيرة خف تأثيرها بشكل منقطع النظير .
٢ . مناحيم ريغف «على طريق أدب الأطفال ص ١٣٧» .
أدير كوهين، «وجه بشع في المرآة» ص ٨ .
Louis M. Rosenblatt. **Literature As Exploration** , N.Y.Noble And Noble 1968.
٣ . ا . ب . يهوشواع . «الفرد والجماعة في صراع متواصل» عيتون ٧٧ , ١٣ (١/ ٢/ ١٩٧٩) ص ٤-٨
٤ . نفس المصدر، ص ٨ .

لقد عملت آلة محكمة ومتطورة على صياغة وعي هذه الأجيال، في المدارس والمؤسسات التربوية ووسائل الاعلام وفي الأدب والفن، انها آلة التربية على العسكرة، وهي آلة ترويج النصوص التي تلهب المشاعر القومية الشوفينية من جهة، ومن جهة أخرى تنزع كل صفة عن «العدو» أي عن العربي، فالعربي في هذه النصوص هو «مخلوق حقير ولا يستحق الحياة» واليهودي الاسرائيلي في القرن العشرين «يقوم بمهمة تاريخية، انه يعيد كيان الدولة اليهودية القوية بعد ألفي عام، اليهودي الاسرائيلي يسجل صفحات بطولية في هذه الحقبة من التاريخ وعمله البطولي هو أقرب الى المعجزة»، على هذه العقلية ينشأ الاسرائيليون، ولهذا السبب فان تشريد شعب بأسره من وطنه وتحويله الى لاجئين والسيطرة التامة على وطنه وبيته وأرضه، كل هذا يصبح مقبولا وعاديا

مدار
المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية
The Palestinian Forum for Israeli Studies (MADAR)